

القرآن والتعدّديّة

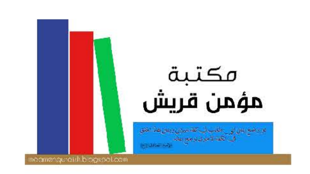
محمد حسن قدردان كراملكي

ترجمة: رحيم حمداوي

دار الولاء
بيروت - لبنان

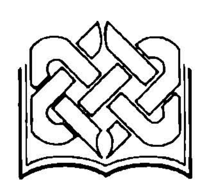


القرآن والتعددية





لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com - daralwalaa@yahoo.com



المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي

طهران، شارع أحمد قصير ـ بلاك ۲ ـ رقم البناية (۲)

هاتف: ۹۸۲۱۸۸۷۳٤۸٦۳ ـ ۹۸۲۱۸۸۵۳۱۲٤۹+ فاكس: ۹۸۲۱۸۸۷٦٤۷۹۲+

Email: iict.publication@gmail.com

القرآن والتعددية

تأليف: الدكتور محمد حسن قدرقان قراملكي

ترجمة: رحيم حمداوي

الإخراج الفني: المنتدى للصف والإخراج الطباعي

تصميم الغلاف: المصمم مجتبى عبيد

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

ISBN: 978-614-420-054-4

القرآن والتعددية

محمد حسن قدردان قراملكي

ترجمة

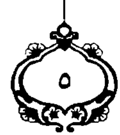
رحيم حمداوي

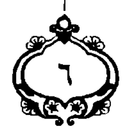
دار الولاء

بيروت - لبنان

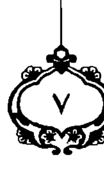

بسم الله الرحمن الرحيم

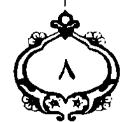
مسرد المحتويات

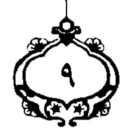


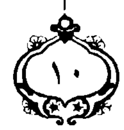


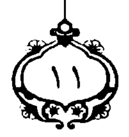










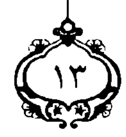


كلمة «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الاسلامي»

أبصر «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» النور في عام ١٩٩٤م، وانطلقت نشاطاته في إطار المشروع الفكري التجديدي. فالمشاريع المعرفية للمفكرين في العالم الإسلامي تنقسم إلى ثلاث فئات، هي: التقليدية، التجديدية، الحداثية الدينية. بالنسبة للفئة الأولى، فهي تتعاطى مع الحداثة باعتبار الأفكار الجديدة بديلة للأصالة والسنّة. وعليه، فإنّ أنصارها يرفضون أيّ تعديل في تلك المفاهيم، مهما كانت الظروف. لذلك فإنّ هؤلاء، في نظر أنفسهم، يرفضون الحداثة والتجدّد دفاعاً عن السنّة، وبالتالي يبدو جليّاً أنّ أيّ تعديل أو تحديث أو قراءة معاصرة للنصوص الدينية تستجيب لمتطلبات المجتمع الإنساني في النموذج الفكري لهذه الفئة، هو أمرٌ بعيد المنال.

من جهة أخرى، هناك مشروع التجديد الديني الذي يقف في مواجهة التيار التقليدي الديني، آنف الذكر، ويتعامل مع مفاهيم الحداثة والأفكار العصرية بانفتاح كبير، فيقايض مبدأ الأصالة بالتجدّد، ويعمل على تحديث السنّة وتطويعها بما يتناسب مع المفاهيم المعاصرة.

وفي الوقت الذي يبدو فيه أنّ مآل النموذج المعرفي للتقليديين هو الجمود الفكري، والأصولية، والتماهي، والرجعية، فإنّ نتيجة النموذج التجديدي هي إقصاء السنّة عن الساحة نهائياً، وفتح الباب على مصراعيه أمام المذاهب الإنسانية والعلمانية لتفرض سطوتها على جميع مرافق المجتمع.



في هذه الأثناء، يبرز أمامنا نموذج فكري ثالث هو المشروع الحداثي الديني، لا سيّما الشقّ المجدّد فيه، إذ إنّه في الوقت الذي يبادل الأصالة بالسنّة، إلا أنه يسعى من خلال السماح لمفاهيم الحداثة بالعبور عبر ممرّ السنّة، إلى تعديل وتطوير تلك المفاهيم، فيقوم بتحويل مصطلحاتٍ من قبيل الحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية؛ إلى التحرّر، والمساواة، والحاكمية الدينية.

لقد اختار النموذج الفكري التجديدي العقل والرؤية الكونية للإسلام، كمنظار ينظر من خلاله إلى مفاهيم الواقعية، وبلوغ الحقيقة، وتفسير القيم المعنوية، (المشروع واللامشروع)، ومن هذه الزاوية فهو ينطلق باتجاه التنظير، والإنتاج الفكري في مجالات الأحكام والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

تأسيساً على ما تقدّم، انبرى «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» إلى إتحاف سوق النشر العالمية بإصداراته التي جاوزت الـ(٨٠٠ مصنّف). تلك المصنّفات التي ارتأت إدارة المعهد أن تنظر بعينين ناقدتين: عين تنتقد المذهب العلماني، والمذهب الإنساني بوصفهما النموذجين اللذين يمثّلان الرؤية الفلسفية السائدة في الغرب؛ وأخرى تنتقد وترفض النموذج الفكري المطروح من قبل التيار الفكري التقليدي الإسلامي، لتطرح بديلاً عنهما هو: العقلانية الإسلامية، والمقولات المنطقية المشتركة، تحت عنوان: النموذج الحداثي الديني المؤطّر بالسنّة.

مع الشكر والتقدير

علي أكبر رشاد

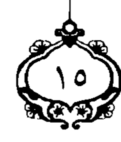
مؤسس «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي»



نبذة سريعة عن «المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي» ومؤسّسه

بدأ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد دراسته الدينية في الحوزة العلمية بطهران في عام ١٩٦٧م، وبعد أن أنهى مرحلة المقدمات، انتقل إلى الحوزة العلمية بمدينة قم في عام ١٩٧٠م، فدرس مرحلة السطوح الأولى والثانية والثالثة والرابعة في الفقه وأصول الفقه على مشايخ كبار من أمثال: حسن طهراني، صلواتي أراكي، اشتهاردي، حرم بناهي قمي، اعتمادي تبريزي، بني فضل تبريزي، يوسف صانعي، السيد علي محقق داماد، سبحاني تبريزي. كما درس الفلسفة الإسلامية في قم وطهران عند الأساتذة: أحمد بهشتي، محمد محمدي كيلاني، الشيخ الشهيد مرتضى مطهري. أضف إلى ذلك، حضور المترجم له ولعقدين من الزمن دروس الفقه، وعلم الأصول لمرحلة الخارج في حوزتي طهران، وقم، عند المشايخ والآيات العظام: حسين وحيد خراساني، علي مشكيني، حسين علي منتظري، السيد علي خامنئي، مجتبى طهراني.

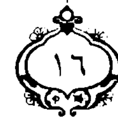
على مدى العقود الثلاثة الماضية، عكف الشيخ الأستاذ علي أكبر رشاد على تدريس موضوعات الفقه والأصول والفلسفة والعرفان في الحوزة العلمية في طهران، فضلاً عن فلسفة الدين، والعلوم القرآنية، وميثودولوجيا



فهم الدين في الجامعات. كما أنّ سماحته يواصل، ومنذ عشر سنوات، تدريس مرحلة السطوح العالية (مرحلة الخارج في الفقه والأصول).

حالياً يشغل سماحة الشيخ رشاد منصب عضوية المجلس الأعلى للثورة الثقافية، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومجلس رسم السياسات لحوار الأديان. كما إنّه مؤسس ورئيس المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي، وهو أكبر صرح دراساتي، غير حكومي، يعنى بشؤون الدين والعلم في إيران. للمعهد العالي العالي أربعة معاهد تضمّ في مجموعها ٢٠ قسماً تتوزع على فروع: الفلسفة، الأبستمولوجيا، العرفان، الدراسات القرآنية، علم الكلام، الدراسات الدينية، منطق فهم الدين، الأخلاق، الفقه والتشريع، السياسة، الاقتصاد، الإدارة الإسلامية، الدراسات الغربية (الاستغراب)، التاريخ والحضارة، الدراسات الثقافية، الثورة الإسلامية، آداب الفكر... إلخ.

جاء تأسيس المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي في عام ١٩٩٤م، في ظلّ الحاجة الملحّة إلى البحث في الشؤون الفكرية المعاصرة، والتركيز على الاتجاهات النقدية والحداثية في المستويات العليا، وقد أثمرت الجهود العلمية للمعاهد التابعة له عن صدور ما يزيد عن ٨٠٠ عنواناً من المصنّفات المدوّنة، وهناك حالياً ثماني دوريات علمية تصدر عن المعهد العالي هي «قبسات» (مجلة متخصّصة في فلسفة الدين/ ذات رتبة علمية ودراساتية)، «ذهن» (متخصّصة في علم المعرفة)، «اقتصاد إسلامي» (ذات رتبة علمية ومحكمة)، «حقوق إسلامي» (ذات رتبة علمية ودراساتية)، «كتاب نقد» (دورية فكرية نقدية)، شهرية «زمانه» (متخصصة في التاريخ وعلم الاجتماع السياسي لإيران المعاصرة)، فصلية «حكمت» العالمية تصدر باللغة الإنجليزية (متخصّصة في الفلسفة واللاهوت)، وفصلية «الحكمة» العالمية باللغة العربية (متخصصة في النظم الاجتماعية في الإسلام).



كما صدرت عن المعهد العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي في العقد الأخير أربع موسوعات بإشراف سماحة الشيخ رشاد، عناوينها:

١ ـ موسوعة الإمام علي عليه السلام (صدرت في ١٣ جزءاً).

٢ ـ موسوعة القرآن (دوّن منها ٣٥ جزءاً حتى الآن).

٣ ـ موسوعة السيرة النبوية (في ١٥ جزءاً، وهي قيد التدوين).

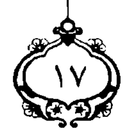
٤ ـ موسوعة الثقافة الفاطمية (صدرت في ٦ أجزاء).

بالإضافة إلى ما تقدّم ذكره، فإنّ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد هو مؤسّس ورئيس الحوزة العلمية للإمام الرضا عليه السلام، وهو مجمع علمي يشمل جميع المستويات العلمية الحوزوية.

علاوة على المعاهد الأربعة (النظم الإسلامية، الثقافة والدراسات الاجتماعية، تدوين الموسوعات، الحكمة والدراسات الدينية)، هنالك الأكاديمية العالمية والتي هي في طور التأسيس، والهدف منها توسيع شبكة الارتباطات العلمية، وقد طرحت هذه الأكاديمية مشروعاً ضخماً للترجمة، يشمل ترجمة ٢٠٠ مصدر إلى مختلف لغات العالم، ناهيك عن مشاريع أخرى عالمية في مجال التنظير، أو نقد آراء مشاهير المفكرين في العالم. وتنضوي تحت لواء المعهد العالي العديد من المؤسسات والمراكز العلمية التي تقوم بإصدار العديد من النتاجات التي تهمّ شريحة الشباب وطلبة الجامعات.

مع الشكر الجزيل

الدائرة العامة للترجمة والنشر الدولي





الديباجة

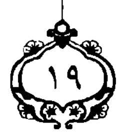
منطلق واحد أدى إلى ظهور التعددية الدينية، كما كان الحال في العلمانية، وهو النقص المعرفي للديانة المسيحية.

في الواقع إنّ الجذور الحقيقية للكثير من المدارس الفكرية الغربية التي تناهض الدين وتنبذه ظهرت نتيجة الضعف البنيوي للديانة المسيحية المحرفة. ديانة تكونت حول محور الثنوية.

إنّ التركيز على الظروف الاجتماعية التي خلقت مناخ نبذ الدين يضعنا في الصورة الصحيحة لفهم الأسباب الرئيسية التي أدّت إلى نشأة التعددية.

خلقت ممارسات الكنيسة تلك الظروف إذ كانت تمارس نوعاً من الدكتاتورية والاضطهاد الديني والمعرفي. إن عدم قدرة هذا الدين المحرَّف على الإجابة عن أطروحات الإسلام المنطقية عند الحوار بين كلا الدينين قد تشكل سبباً في ظهور التعدّدية (البلورالية). من المؤسف جداً أنّ انطباع الشعوب الغربية الخاطئ عن الدين وضعف أدائه الاجتماعي أدَّيا إلى تعميم النقص الفكري للمسيحية المحرفة إلى كافة الأديان الإلهية.

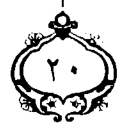
في الحقيقة إنّ دعاة التعددية يرون أنّ تعدد الأديان ناتج من تعدد الفهم والمعرفة البشرية؛ لأنهم يعتقدون أنّ الأنبياء لا يتفقون الرأي في قضية ألوهية الرب فظهر مختلف الأديان في الساحة. فالقضية هي اختلاف الرؤية، رؤية تقف وراء ظاهرة القراءات المتعددة للنصوص الدينية مما دفع أنصار التعددية إلى تفسير تلك النصوص خدمة لأهدافهم ونواياهم.



أمّا الفكر الإسلامي فلم يعترف بكافة الأديان الإلهية فحسب، بل يعتبر أنّ الإيمان بالأديان الإلهية شرط لاعتناق الإسلام، كما لا يختلف المفكرون المسلمون في ما بينهم بأنّ الإسلام يشتمل على كافة التعاليم الإلهية فهو قدّمها بصورة منطقية راسخة وبعيدة عن الخرافات.

لقد وضع منتدى الشباب للفكر الاهتمام بالقضايا الفكرية للشباب على رأس هواجسه، فهو يرى أنه ومن أجل التطرق إلى هذا الموضوع المهمّ وتبيين دوره البارز، لا بدّ من وضع القراءة التعددية لآيات القرآن الكريم وتفاسيرها الخاطئة على محك النقد، في البحث الذي بين أيديكم، والذي دوّنه الباحث الفاضل السيد قراملكي داعياً، ومن خلال قراءتكم هذا البحث، إلى أن ترشدونا بآرائكم القيمة.

منتدى الشباب للفكر



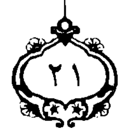


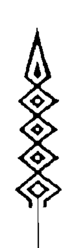
أول الكلام

يروج المثقفون المسيحيون فكرة التعددية الدينية التي تعني تأييد أحقية كافة الأديان، في العصر الراهن. لقد شهدت العقود المنصرمة، سيّما السنوات الماضية، مثقفين مسلمين انخرطوا في هذا المجال وأخذوا ينشرون مبادئ التعددية.

للتعددية مبادئ وقراءات عديدة قد يصبح الدين نفسه أحد هذه المبادئ، كما يدعي أنصار التعددية، بمعنى أنّ مختلف الأديان، ومن خلال دعوتها الناس، لا تتعرّض لأحقية الأديان الأخرى، بل إنّ جميعها تنهل من نبع سماوي واحد.

إنّ تسويغ التعددية بالاستناد إلى الدين، هو أحد الحلول المتوفرة لنشر هذه النظرية، حيث لا يواجه المتدينون صعوبة في فهمها. كما يتمسك دعاة التعددية المسلمون بتلك النظرية في محاولتهم الرامية لإثبات أنّ عقائدهم لا تعارض الدين الاسلامي، وقاموا بتفسير وتأويل بعض الآيات القرآنية لتسويغ فكرتهم. ذلك أنهم تجاهلوا، عن عمد أو غير عمد، الأصول والمبادئ الرئيسية لعلم التفسير والهرمنوطيقيا، وأخذوا يستندون بآية من القرآن بدون الآيات الأخرى ثم يفسّرون ظاهر الآية خدمة لمزاعمهم. وقد عملوا على نشر تفاسيرهم تلك مستخدمين جميع المجالات، خاصة السلطة الرابعة، ومخاطبين مختلف شرائح المجتمع، سيما الشاب الناشط والبحاثة.





لا يمكن نكران التأثير الذي يتركه هذا التوجه في نفوس المخاطبين ممن ليس لديهم الوقت للدراسة والتوغل في البحث والتأمل والتمحيص في لب الآيات وجوهرها. ولننتبه إلى أنّ القرآن هو كتاب سماوي ذو أوجه متعددة (المحكمات والمتشابهات) أُنزل طوال ٢٣ عاماً على النبي ﷺ، خذ مثالاً قضية تحريم الخمر التي تمت خلال ٤ مراحل[١]. بعبارة أخرى إنّ عملية فهم أهداف ونوايا هذا الكتاب تتم عبر أسلوب ومنهج خاص يتطلب التأمل والتفكر بالإضافة إلى التأني. والموضوع الذي يكتسب أهمية قصوى هو دراسة علاقة الآية بالآيات الأخرى عند الإدلاء بالرؤى وإصدار الأحكام حولها.

لكن ما نشاهده على الساحة يعكس خلاف هذا، فقد لمستُ تأثير هذا التوجه شخصياً، عند مناقشتي عدداً من العلماء والباحثين، وبإمكانك قراءة المزيد من هذا المقتضب.

على طرف آخر، وبما أنه لم يصدر كتاب مستقل وشامل، في مجال نقد التعددية ودراستها من منظور الدين (المتمثل في القرآن والروايات) حيث يشرح بالتفاصيل موقف القرآن والروايات من التعددية، وبالتالي يقدم أجوبة كافية وشافية حول الآيات القرآنية التي يتشبث بها أنصار التعددية كدليل على قولهم، كل ذلك جعلني أعيد النظر مرة أخرى وأقوم بإكمال كتاباتي وكانت النتيجة، هذا الكتاب الذي بين أيديكم.

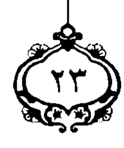
من نافلة القول أنني اتخذت أسلوب التحليل في التطرق إلى موقف الإسلام في حصره الصراط المستقيم بالإسلام، وإبطال التعددية من منظور بعض الآيات القرآنية، وإلى حد ما، بعض الروايات باعتبارها الشارح والمفسر للآيات. منهجي هو أسلوب النظر من داخل إطار الدين، أمّا مَنْ

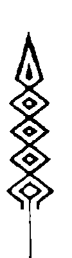
(١) للمزيد راجع: الفصل الثالث من هذا الكتاب.

يريد البحث الشامل والجامع حول تحليل نظرية التعددية من مختلف الجوانب خارج إطار الدين، مثل دراسة ونقد الأسس التي يستند إليها التعدديون، فينبغي له البحث عنها في كتب أخرى[1].



(١) راجع: قدران ملكي، محمد حسن: كندكاوي در سويه هاي پلوراليزمؤ كانون انديشه جوان؛ قدردان ملكي، محمد حسن: حكومت ديني از منظر شهيد مطهري، فصل يازدهم، موسسه فرهنگي دانش وانديشه معاصر.





مقدمة

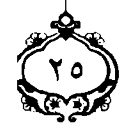
تعريف التعددية

تعني التعددية (Pluralism) لغوياً الكثرة والتنوع.وقد أطلقت لأول مرة في الكنيسة على من كانوا يشغلون مناصب عديدة. أول من أدخل مصطلح البلورالية في حقل الفلسفة هو لوتسه في كتابه (ما بعد الطبيعة) وذلك عام ١٨٤١[١]. بين هذا وذاك وفي حقل فلسفة الدين تعني التعددية تأييد أحقية الأديان كافة. قدَّم أنصار التعددية بغية إيضاح نظريتهم قراءات وأسساً عديدة، حيث يتطلب الخوض في جوانبها فرصة أخرى[٢]. أشير في ما يلي إلى بعض تلك القراءات:

١. **تعددية حقيقة الأديان:** يذهب أتباع هذه الرؤية إلى أنّ مختلف الأديان تنهل من الحقيقة وتنتهي بالإنسان إلى النجاة والفلاح، بيد أنهم يختلفون على الإجابة عن سؤال: إلى جانب أي من الأديان يقف الحق ولأيّها يدير ظهره؟ إنّ جُلَّ اهتمامهم منصبٌ على التعايش السلمي. هذه القراءة من التعددية ليست إلا صدى لنظرية التساهل والمداراة[٣]، يمكن استنتاجها من تعامل الإسلام مع أهل الكتاب.

---

(١) راجع: نامه فرهنگ، عدد ٢٤، عام ١٣٧٥، الصفحة الرابعة.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) Tolerance



٢. **كثرة الأديان الصائبة**: ترى هذه الرؤية أنّ كافة الأديان وبالتوازي تنتهج الصواب والحق ولا فضل لدين على آخر.

٣. **تعدد الأديان غير الصائبة**: تدعي هذه القراءة بأنّ كافة الأديان لها نصيب من الحقيقة، وعليه لا تتجلى الحقيقة كلها في أي منها.

٤. **القول بأفضلية دين بعينه**: يرى أنصار هذه القراءة بأنّ الحقَّ يتبلور في كافة الأديان، وفي الوقت ذاته يعتبرون أنّ ديناً واحداً من الأديان يؤمنون به ديناً كاملاً ويحظى بامتيازات خاصة.

٥. **تعدّدية المدارس الفكرية**: هذه القراءة هي القراءة التعددية الأكثر تطرفاً فإنها لا تكتفي بالادعاء بأنّ مختلف الأديان تنهل من الحقيقة، بل تتجاوز هذا الحد وترى أنّ للمدارس الفكرية الإلحادية والمادية كالشيوعية أحقية.

٦. **الشمولية**[١]: يرفض دعاة هذه القراءة الاعتراف بوجود أي شكل من الحقيقة في الأديان الأخرى، بل يعتقدون بأنّ أتباع الأديان الأخرى تشملهم قاعدة اللطف والعناية الإلهية إنْ عملوا بدينهم ويطلق عليهم كارل راهنر المسيحيين المجهولين، ويقصد أتباع الأديان الأخرى المخلصين[٢].

سنناقش هذه القراءة في فصل آخر ومدى مطابقتها المبادئ القرآنية والروايات. أما الآن فسنضعُ تعريف التعددية الشهير في ميزان البحث، وهو ما يهمنا في هذا الكتاب. يقول هذا التعريف إنّ الأديان كافة تأخذ بيد الإنسان إلى بر الهداية وتهديه إلى الصراط المستقيم، ولا ينحصر الصراط المستقيم بدين خاص كالمسيحية أو الإسلام. كل الأديان وبشكل مستقل

---

(١) Inclusivism

(٢) راجع: خرمشاهي، بهاء الدين: دين پژوهي، ص٣٠٣، مقالة بعنوان تعدد الأديان لجان هيك.



وفي امتداد بعضها البعض تنتهج الحق وتسير على درب السعادة وعليه يسير أتباعها على درب السعادة والصراط المستقيم.

سنوضح في هذا الكتاب ومن منظور القرآن والسنّة، النقطة التالية: لا يصح اعتبار الأديان الأخرى على امتداد واحد مع الدين الإسلامي المقدس، والقول بأنّ جميعها تنتهج الحق. صحيح أنّ الأديان، سيَّما المسيحية واليهودية، تحمل قسطاً من الحقيقة في طياتها، لكونها سماوية، بيد أنّ ظهور الإسلام هذا الدين الخالص والكامل السماوي أدى إلى حصر الصراط المستقيم بدين محمد ﷺ.

ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمّة وحساسة، مفادها أنّ ضرورة حصر الصراط المستقيم بالإسلام لا يؤدي إلى التنكيل بأتباع الأديان الأخرى وبالتالي هلاكهم، وهو ما يتخذه دعاة التعددية، من خلال السفسطة، ذريعة لمزاعمهم، بل إنّ الإسلام يؤيد نوعاً من الشمولية، وسألقي الضوء عليها، في فصل لاحق.

تكامل الدين

إنّ مصطلح الدين من المصطلحات التي تثير جدلاً واسعاً إلى درجة أنه لم يقدّم المؤرخون والباحثون في مجال الدين تعريفاً كافياً وشافياً له. هذا الأمر عائد إلى تعدد المدارس الفكرية وخلافاتها، مدراس تطلق على نفسها صفة الدينية. وقد يبلغ هذا الخلاف درجة التعارض. أما اعتبار الدين أمراً قدسياً حتى ولو ضم أكبر قدر من المصاديق في طياته، فيجعل للدين دائرة تلقي أكثر المدارس الفكرية المادية خارجها.

نفى فيتجنشتاين (١٨٨٩ ـ ١٩٥١) ضرورة وجود سمة مشتركة بين الأديان[1]، وادَّعى بأنّ إطلاق لفظة الدين على مختلف الأديان التي لا

(١) راجع: جان هيك: في فلسفة الدين، صفحة ٢٣، مقالة لـ بير الستون در دين وچشم اندازهاي نو، ترجمه غلام حسين توكلي.



يجمعها قاسم مشترك يشبه مصطلح اللعبة، أي من زاوية الشبه الأسري[1].

نرجع إلى تعريفنا للدين لنوضح قائلين بأننا عندما نستخدم لفظة الدين في هذا الكتاب، نقصد الأديان القدسية والسماوية التي يطلق على مُعتنقيها أهل الكتاب. يحاول الكتاب أن يوضح النقطة التالية وهي: هل الأديان السماوية الشهيرة كـ اليهودية والمسيحية والإسلام في امتداد بعضها وتسير على خط واحد، وهو الحق والصراط المستقيم، أم أنه بظهور الإسلام قد انتهى دورها وأحقيتها وعلى المؤمنين بتلك الأديان ان يؤمنوا بالإسلام ويلتزموا بشريعته؟

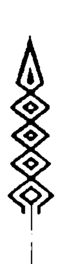
الآن حريٌّ بنا أن نتطرق إلى تعريف الدين وتكامله أو تعدده موضحين موقف الإسلام. لقد شهد تاريخ البشرية ظهور مختلف الأنبياء والأديان. ولإزالة الغمام عن الفكر والبحث عن أسباب وجذور هذا التعدد ينبغي أن نجد أجوبتنا في اختلاف المواهب الإنسانية والظروف الاجتماعية المعيشة.

لقد شهدت مسيرة تطور الإنسان في قبول وبالتالي تحمل الأمانة الإلهية أي الدين، ثم إرسال الكتب السماوية، مسيراً صعودياً وتكاملياً.

لنوضح هذه العبارة الأخيرة قائلين إنّ مرور الأزمنة وإرسال الأنبياء وازدهار المواهب البشرية شكّل الأسباب التي خلقت المناخ الملائم لتكامل الدين على الصعيدين الكمّي والنوعي، لأنّ شأن الإنسان في مدرسة الأديان شأن تلميذ يدرس في المرحلة الابتدائية ينبغي أن يخطو خطوة تلو الأخرى إلى الأمام وبنجاح للحصول على الشهادات العليا، فكما أنّ المواد الدراسية هي كالسلسلة حلقاتها مرتبطة ببعضها البعض، فالأديان السماوية أيضاً تسير على هذا المنوال ويكمل اللاحق السابق عليه، حيث لم تعرف الأديان الإلهية وفي مختلف الأزمنة، الأحكام الفرعية والفقهية

(١) Resemblance Family.





المتمثلة في الأوامر والنواهي، حتى أقدم النبي نوح وفقاً لأسس معروفة، على تأسيس الشريعة كما قام بنشر التعاليم العقائدية ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾(١).

الدين واحد والشرائع متعددة

نستنتج ممّا شرحناه آنفاً أنّ للأديان السماوية جوهراً واحداً، أي بعبارة أدق، أنّ القاسم المشترك بين الأنبياء هو قبول الناس دعوتهم بأن يعبدوا الله ويؤمنوا بالتعاليم العقائدية كالتوحيد والمعاد اللذيْن يشكلان جوهر الأديان. ولا يغيب عن البال أنّ اختلاف درجات الفضيلة ومستوى تعاليم الأنبياء يرجعان إلى تغيير مستوى المخاطب. وبما أنّ مرسل الأنبياء هو واحد وكامل ومطلق وأنّ حاجة البشر إلى الدين نابعة من الفطرة التي لا تغير لها، ففي وسط هذه الحالة يدخل إرسال الأديان والمذاهب المختلفة والمتناقضة في دائرة المستحيل، إذ إنّ القرآن يؤكد على وحدة جوهر الأديان مراراً.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢)،

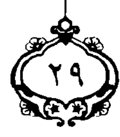
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾(٣).

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) آل عمران ١٩.

(٣) حديد ٢٧. يفسر مطهري هذه الآية بعبارات رائعة ننقل ما كتبه حرفياً: إنّ مصدر كلمة قفينا هو تقفية وحروفه الرئيسية ق ف و. القفا هو مؤخر العنق. عندما يقف عدة أشخاص في طابور، واحد تلو الآخر كوقوف العسكر يصبح يد كل منهم خلف عنق الآخر في هذه الحالة يصبح وجه الشخص خلف عنق الآخر، لكن الرأس يشتمل على الأمام والخلف إذا قلنا خلف العنق يتبين أن هناك في الواقع من يقف في الأمام وهناك من يقف في الخلف. يقول القرآن: نحن أرسلنا رسلنا واحداً تلو الآخر وكانت مهمة الرسول اللاحق تكميل الرسالة السابقة عليه وإنجاز المهمة. ثم قفينا على آثارهم تفيد هذه الآية أنّ النبي سار على الطريق نفسه الذي بدأه الأنبياء من قبله فلا يتوهم أحد أنّ للانبياء مسارات مختلفة. هناك مسير واحد بدأ من نوح وانتهى عند خاتم الأنبياء أمّا عن الخلافات التي تدور رحاها في التشريعات والتوجيهات والقوانين والتي تشكل الخلاف في الفروع، فلم تكن لتغير المسار الواحد=



هذا ما يفسر السبب الكامن وراء استخدام القرآن لفظة الدين بصورة المفرد لا الجمع. ما ينبغي أن نعرفه هو أنّ ضرورة وحدة الدين لا تؤدي إلى ضرورة وحدة الشرائع؛ لأن الشرائع عبارة عن الأحكام والأوامر على صعيدي العمل والسلوك يصيبها التغيير نتيجة لتغيير المصالح والمتطلبات الزمكانية كماً وكيفاً. يقول القرآن:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

يقول الشاعر الإيراني جلال الدين الرومي: لكل نبي وولي مذهب بيد أنّ الكل يتجه إلى الله[2]. وفي مقام آخر يقول: لا يمكن للرب أن يظهر فينوب عنه الأنبياء. عشرات المصابيح في مكان واحد تختلف في الظاهر لا يمكن أن نفرق بينها عندما نؤمن بنورها وحقيقتها.

هنا وبعدما ألقينا الضوء على بعض من المبادئ التصورية والتصديقية لموضوعنا، ننتقل ومن خلال الفصل القادم،إلى البحث حول الأسس والأدلة القرآنية والروايات التي تثبت حصر الدين الحق بالإسلام وانتهاء أحقية الأديان الأخرى، سيَّما اليهودية والمسيحية.



=إلى اثنين. آثارهم جمع الأثر أي العلامة، الأنبياء يسيرون على الطريق نفسه وفقاً للعلامات التي تركها من سبقوهم. راجع مطهري: آشنايي با قرآن، ج٦، ص١٢٩ ـ ١٣٠، انتشارات صدرا، طهران.

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) المثنوي المعنوي، المجلد الاول.





الفصل الأول

المبادىء القرآنية وحصر الصراط المستقيم بالإسلام



١. أخذ ميثاق النبيّين والأمم الغابرة في اتباع الإسلام

قلنا إنّ التعددية الدينية التي تؤيد حقّ الأديان الأخرى في موازاة الإسلام، تتعارض مع مبادئ الإسلام، ومنها القرآن. وبديهي أنّ دراسة هذه المسألة تتطلب التمحيص والتنقيب عن جوانبها المختلفة مع العلم أنها تحتاج إلى مساحة واسعة للبحث لتفي بالغرض. بيد أنّنا سنذكر بعض الآيات ونخضعها للبحث في هذا السياق بصورة موجزة.

شاهدنا الأول للدلالة على رفض التعددية هو الآيتان ٨١ ـ ٨٢ من سورة آل عمران حيث تصرحان بأنّ الله أخذ ميثاق النبيين والأمم الغابرة بأن يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ عند ظهوره.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

يطالب الله في هذه الآية الشريفة الأنبياء أن يؤمنوا بنبوة محمد ﷺ عند ظهوره وأن يبذلوا جهدهم في سبيل نصرته. إنّ هذه الآية لها دلالة بينة. فلو كانت للأديان السابقة أحقية وأنّها في موازاة بعضها لأصبح أخذ الميثاق

---

(١) آل عمران: ٨١ ـ ٨٢.



والطلب بالإيمان ونصرة النبي اللاحق من الملغيات، أضف إلى ذلك أنّ وصف ناكثي العهد بالفاسقين يدل على وجوب إطاعة النبي اللاحق.

ثمة روايات تفسر تلك الآية، منها قول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة في هذا الموضوع[1].

يقول الإمام الكاظم: «**لم يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ووصية علي**»[2].

وعن ابن عباس: أوحى الله إلى عيسى بن مريم، يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به[3].

من الواضح أنّ إيمان الأنبياء والأمم السابقة بشريعة الإسلام يعارض نظرية التعددية الدينية، من جهة أخرى وعد الله الذين يرفضون الميثاق ولا يؤمنون بدين الإسلام باللعن والابتعاد عن رحمة الله والعاقبة السيئة.

٢. القرآن الكتاب المهيمن والناسخ

إنّ العمل بالميثاق المذكور آنفاً يشكل ضرورة لأخذه من الأنبياء والأمم الغابرة، لهذا ووفقاً لذلك الميثاق ينبغي على أتباع الأديان الأخرى أن يؤمنوا بالإسلام عند ظهوره. بعبارة أدق انتهت أحقية الأديان الأخرى زمكانياً عند ظهور الإسلام، فأرسل الله رسولاً حاملاً شريعةً أخرى بناءً على المتطلبات المراد تحقيقها، ثم طالب الله الناس كافة بالإيمان به. يطلق على هذا العمل قاعدة النسخ. هناك روايات تؤكد على هذه القاعدة. ولكي نوضح الأمر بصورة جلية نقدم بحثاً حول المعنى اللغوي والمصطلحي للفظة النسخ.

يذهب علماء فقه اللغة إلى أنّ النسخ في اللغة يعني الإزالة والإبطال

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٨٩.

(٢) نقلاً عن الملا محسن فيض الكاشاني، علم اليقين، ج١، ص٤١٩.

(٣) نقلاً عن الملا محسن فيض الكاشاني، علم اليقين، ج١، ص٤٢١.



كما يقول الراغب في مفرداته: النسخ إزالة الشيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظلَّ والظلّ الشمسَ والشيب الشباب[1].

وقد جاء في لسان العرب: النسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه[2]. لكن معنى النسخ اللغوي يختلف مع معناه المصطلحي؛ لأنّ القول بإزالة الحكم وبطلان ما أصدره الله يدخل في دائرة المستحيل. وعليه، فإنّ عبارة شريعة موسى تنسخ شريعة عيسى لا تعني الإعلان عن الانتهاء وعدم أحقية الشريعة السابقة بل القصد هو انتهاء أمد هذه الشريعة.

يقول العلامة طباطبائي: النسخ بيان انتهاء أمد الحكم وليس بإبطال[3].

إنّ النسخ بهذا المعنى لم يشكل مسألة ممكنة الحدوث فحسب، بل يتجاوز ذلك ليصبح قضية مطلوبة وحسنة عند الله، وتعتبر بمثابة لطف من الخالق للعباد نظراً لعدة جوانب، منها الاختلاف في المواهب والظروف الزمكانية. لهذا نجد القرآن يؤيدها بالقول:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

تبيَّن من خلال تعريف النسخ أنّ ميدانه يختص بالأحكام والقضايا الفقهية والشرعية وهي تشكل البعد الثاني للدين، فإنّ نسخ الإسلام الأديان السابقة عليه لا يعني أنه قام بنسخ لب وجوهر وأساس اليهودية والمسيحية وحكم ببطلانها؛ لأن شريعة كل دين تكتسب الأحقية وبالتالي تصبح سارية المفعول في الزمن والظروف التي تعيشها، إنما القصد هو الإعلان عن انتهاء أمد حكم تلك الأديان بعد ظهور نبي الإسلام. بناءً على ما تقدَّم فإنّ العبارة التالية لأحد الكتاب الذي يعرف النسخ من خلالها خاطئة عندما

---

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مادة نسخ.
(٢) راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، مادة نسخ.
(٣) راجع: طباطبائي، العلامة السيد محمد حسين: الميزان، ج١٩، ص٢٥٢.
(٤) البقرة: ١٠٦.



يقول: إنّ النسخ يعني رفض ونفي ونكران أحقية الأديان السابقة وإزالة كينونتها إزالةً. يبدو أنّ القائلين بها قد التبس عندهم مفهوم النسخ في معناه اللغوي والمصطلحي[1].

أمّا الموضوع الآخر فهو أنّ عبارة نسخ الأديان السابقة لا تعني نسخ كافة أحكامها العلمية والفقهية، بل إنها تتغير نظراً لمتطلبات الزمن والمخاطب ويبلغها الله بوساطة رسله إلى الناس.

إنّ الإسلام يشتمل على تعاليم متكاملة وأصول عقلية وفطرية، تم إيضاح القسم الأعظم منها بوساطة النبي والأئمة المعصومين وترك الجزء الآخر إلى علماء الدين لتبيينه كي يوضحوا بالاجتهاد موقف الإسلام من القضايا المستجدة التي تطرح في الساحة، وهذا ما يشكل الفارق المهمّ بين الإسلام والأديان السابقة عليه. هذه الميزة المهمّة التي تشكل ضرورة للدين الخاتم، مهدت الأرضية لبقاء الإسلام وحيويته وبالتالي عدم مواجهته المآزق على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

فائدة النسخ من عدمه تتجلى في النقطة الأخيرة لأن رفض النسخ والسماح باختيار دين آخر كالمسيحية يقطع الرغبة الدينية عند الناس، والسبب هو أنّ الشرائع الأخرى لا تمتلك إمكانية الخلود وتقديم الأجوبة على الشبهات وحل المعضلات الفردية والاجتماعية التي تعاني منها مختلف الأجيال، وكلما مرت الأيام ظهر عجزها.

النسخ بين التأييد والرفض

من جملة أهل الكتاب، يرفض اليهود مسألة النسخ ويعارضونها بشدة، فهم ينقسمون في هذا الأمر إلى شريحتين، حجة الشريحة الأولى هي عدم

(١) راجع: خرمشاهي، خرمشاهي: قرآن والهيات جهاني (مقاله)، بينات، عدد، ١٧ ص١٧٤.

إمكانية صدور مثل هذا الأمر من جانب الله لاستحالة البداء[1] والندامة. أما الشريحة الثانية فتقبل إلى حد ما إمكانية حدوث النسخ؛. بيد أنها تدّعي وجود نصوص تتمسك بها لإثبات رأيهم القائل بأن دينهم خارج عن قاعدة النسخ[2].

مهما يكن من أمر فإنّ علماء المسلمين يعتقدون بأن أصل النسخ وحصر الصراط المستقيم بالإسلام هو أصل مسلَّم به لا غبار عليه، ولا يمكن الطعن بصحته. وبدوري قمت باستقراء ناقص فلم أجد من يعارض هذا الأصل حتى شاهدت هناك من يدعي الإجماع حوله[3].

هناك الكثير من العلماء والمتقدمين الذين يدافعون عن النسخ منهم: محيي الدين بن عربي[4]، ابن النوبخت[5]، الشيخ الطوسي[6]، الشيخ الطبرسي[7]، الشريف المرتضى[8]، الشيخ الصدوق[9]، العلامةالحلي، فاضل مقداد[10]، ابن شهرآشوب[11]، الحمصي الرازي[12]، ابن ميثم

(١) البداء يعني الندامة والعدول عن الرأي والإتيان برأي آخر لم يظهره من قبل بما أنه لا يصيب التغيير ذات الرب فإنّ البداء يصبح من المستحيل حدوثه.

(٢) هناك خلاف في وجهات النظر حول المصادر التي تتحدث عن مزاعم اليهود يرجح، البعض ك مقداد وفي كتابه المعنون باللوامع الإلهية أنّها دخلت في الكتب الكلامية بوساطة ابن الراوندي اليهودي.

(٣) الغزالي محمد بن محمد: المستصفي في علم الأصول ج١، ص١١١.

(٤) الفتوحات المكية ج٤، ص١٠٧، ج٣، ص١٥٢ و٣١١.

(٥) الياقوت في علم الكلام، تحقيق علي أكبر ضيائي، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤١٣هـ.

(٦) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص٢٦٨، دار الأضواء بيروت؛ تمهيد الأصول، ص٧٤٤.

(٧) تفسير مجمع البيان، ج١، ص٢٠٦، المكتبة العلمية الإسلامية (ذيل آيه ١٣٥ البقرة).

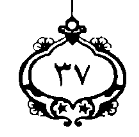
(٨) شرح جمل العلم والعمل، ص١٨٤؛الذخيرة، ص٣٥٦.

(٩) اعتقادات الصدوق، ص٩٧ به نقل من بحار الأنوار، ج١١، ص٢٨.

(١٠) إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، ص٣١٧؛ اللوامع الإلهية ص٢٣٦.

(١١) مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٩٦،نجف، مكتبة الحيدرية؛بحار الأنوار ج١٦، ص٣٣٦، ج١٠، ص٤١٤.

(١٢) المنقذ من التقليد انتشارات اسلامي، ج١، ص٤٣٠.



البحراني[1]، ابن داوود[2]، الشيخ الحر العاملي[3]، أما من العلماء المعاصرين فيمكن الإشارة إلى العلامة الشعراني[4]، محمد جواد البلاغي[5]، محمد جواد مغنية[6]، رحمة الله الهندي،[7] العلامة الطباطبائي،[8] الشيخ محمد عبده،[9] الشهيد مرتضى مطهري،[10] وآخرين[11].

هناك من يدعي أنّ القرآن لا يحمل أي دليل لا صراحة ولا ضمناً يفيد بنسخ الشرائع السابقة، حيث تراجعوا عن نظريتهم السابقة في كون الإسلام الناسخ لجميع الشرائع أصلاً مسلمًّاً به ولا غبار عليه، طارحين قضية تعدد الأديان والتعددية الدينية[12].

---

(١) قواعد المرام، ص١٣٣.

(٢) الأرجوزات الثلاث منظمة الطبع، انتشارات وزارة الإرشاد، ص٩٦.

(٣) الفصول المهمة، ص١٦٠، المطبعة الحيدرية، نجف ١٣٧٨هـ

(٤) سعادت بشر، ترجمة وشرح كشف المراد، ص٥٠٣.

(٥) الهدى إلى دين المصطفى، محمد جواد بلاغي، ج١ ص٢٤٧، نجف منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥ ق.

(٦) التفسير الكاشف، ج١، ص١٦٩، دار العلم، بيروت، ١٩٦٧ م.

(٧) إظهار الحق، ج١، ص١٩٦، المطبعة العلمية، ١٣٥٠ق.

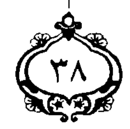
(٨) تفسير الميزان، ج٣، ص١٩٧.

(٩) تفسير المنار، ج٢، ص١٣٨ (ذيل آية ١٨٢، سورة البقرة) دار المعرفة، بيروت.

(١٠) مجموعة آثار، ج، ١٤ ص٢٨٩؛ خدمات متقابل اسلام وايران، اسلام ومقتضيات زمان، ج١، ص٣٥٦.

(١١) جوادي آملي، عبدالله: شريعت در آئينه معرفت، ص١٠٢، مركز نشر فرهنگي رجاء؛ مصباح يزدي، آية الله محمد تقي: راهنما شناسي، ص٣٥٩، مركز مديريت حوزه علمية، قم؛ سبحاني، جعفر: معالم النبوة في القرآن الكريم، ص١٦٥؛ معرفت، محمد هادي: مصونيت قرآن از تحريف، ص١٠٧ و١٠٨، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم.

(١٢) كان يعتقد خرمشاهي سابقاً بأنه لا يوجد أدنى شك أو إشكال بأنّ الإسلام هو ناسخ الأديان السابقة. قرآن پژوهي، ص٥٤٢. كتب فيما بعد في معرض رده على مقالتي التي حملت عنوان القرآن والتعددية يقول: صحيح أنه من المعروف أنّ الإسلام نسخ الأديان السابقة لكن ليس في القرآن ما يدل بوضوح على نسخ ونفي ونكران أحقية أهل الكتاب وعدم نجاتهم وفلاحهم. (مجلة بنيات قران وإلهيات جهاني) وفي مقام آخر يقول: لو قام الناقد المحترم بالاستناد إلى القرآن بإثبات أنّ القرآن يدل على أنه بظهور الإسلام أزيلت أديان=



هذا بينما ترفض ظواهر الآيات ونصوص الروايات هذا الرأي رفضاً باتاً، وسنتطرق إلى هذا الموضوع بالإسهاب في هذا الفصل.

إن الله يصف القرآن بالمهيمن والحاكم على الكتب الأخرى بعدما يشير إلى نزول الكتب السماوية:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(1)

وردت لفظة المهيمن بمعانٍ عدّة مثل الشاهد والمحافظ والمراقب والأمين والمسلط والحاكم. ثم إن ابتداء الآية وانتهاءها يبيّنان أنّ المهيمن في هذه الآية هو القرآن ولعدة اعتبارات، أولها أنه الكتاب السماوي الأخير، وأنه يؤيد الكتب السماوية الأخرى كما يحمل بين دفتيه أصولا ومعارف حقيقية ويمارس نوعاً من السلطة والحكم على الكتب السابقة عليه وينبغي اعتباره الرسالة الأخيرة الموجهة من الله إلى خلقه وحجة الله ومعياراً لتمييز الحق من الباطل. فإذا قدمنا تفسيراً آخر للمهيمن فهذا يعني حمل اللفظ على معنى آخر ويصبح الوصف لا معنى له لأن لفظة مصدقاً التي سبقت المهيمن في العبارة تفيد تصديق وتأييد الأديان السابقة. هناك روايات عدة تؤيد هذا المعنى كما أنّ النبي يعتبر القرآن وفي عبارة واضحة جلية بأنه الكتاب الحاكم والمهيمن بقوله:

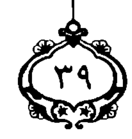
(إن الله عزوجل جعل كتابي المهيمن على كتبهم الناسخ لها)(2).

=أهل الكتاب من الوجود ونسخت فإنه ينهي بحثنا (مجلة بنيات قران وإلهيات جهاني) ـ ص١٧٦.

وراجع: بينا، الدكتور محمود: هفت اسمان، العدد الثاني، ص٢٢: ما من دليل على أنّ الدين الجديد نسخ السابق عليه، نعم هناك رؤية مفادها أنه عند ظهور النبي علينا اطاعته، هذه الرؤية خطية والقرآن له رأي محايد هنا، في حين أنّ المسلمين لهم رأي آخر. راجع: بازركان، مهدي: قرآن ومسيحيان، ص٩.

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) بحار الأنوار، ج١٦، ص٣٢٩، وج٩، ص٢٩٢.



في رواية أخرى اعتبر أحد المعصومين عليهم السلام أنّ من مزايا النبي محمد صلى الله عليه وآله نسخ الشرائع السابقة عليه بشريعته حيث قال: من جلالة قدرته أنّ الله نسخ بشريعته سائر الشرائع ولم ينسخ شريعته[1]. وفي رواية أخرى يخاطب الله اليهود قائلاً: ما لكم يا معشر اليهود والمكذبين بمحمد والجاحدين نسخ الشرائع من دون الله سوى الله تعالى من ولي يلي مصالحكم[2].

وفي رسالة وجهها النبي إلى الحاكم المسيحي زيد بن جهور يعلن فيها صراحة قضية النسخ وانتهاء أحقية الأديان سوى الإسلام ويطالب كافة المؤمنين بترك دينهم واعتناق إسلامهم.

«فليوضعن كل دين دان به الناس إلا الإسلام فاعلم ذلك»[3].

إنّ إنكار النسخ يقتضي بقاء الأديان على أحقيتها والعمل بتعاليمها الدينية وعدم إتباع الأديان. الأخرى لكنّ النبي رفض هذا رفضاً باتاً. حينما شاهد النبي يوماً ما أحد الصحابة يحمل ورقة من التوراة (تشير بعض الروايات بأنّ بعض الصحابة كانوا يمدحون بعض الأحكام في الديانة اليهودية) قال وهو غضبان: لقد جئتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي[4]. قال مطهري شارحاً هذا الحديث: إنّ حديث عمر يؤكد بصراحة بالغة أنّ النبي أكد أنّ التوراة والإنجيل قد نسخت عند ظهور الإسلام[5]. تحدث الإمام علي مراراً وتكراراً عن حصر الدين الحق بالإسلام وانتهاء أحقية الأديان السابقة ويصرح الإمام بأنّ الإسلام هو دين الله الذي اصطفاه لنفسه وأذل وخذل الأديان الأخرى عند ظهوره وانتصار

(١) المصدر نفسه، ج١٦، ص٣٣٦، وج١٦، ص٤١٤ و٣٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ج١٦، ص٣٢٩، وج٩، ص٢٩٢.
(٣) مكاتيب الرسول، ج١، ص١٦٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) راجع: مجموعه آثار، ج١٤، ص٢٨٩.



تعاليمه (بمعنى انتهاء أحقيتها وحكمها)، وفي عبارة له يعطي تعريفاً آخر لمصطلح النسخ «أذل الأديان بعزته ووضع الملل برفعه وأهان أعداءه بكرامته وخذل محايديه بنصره»[1].

٣. محمد ﷺ النبي العالمي

هناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم تخاطب الناس في كافة أنحاء العالم مطالبة إياهم أن يتخذوا الإسلام ديناً، واصفة الإسلام بأنه دين عالمي يهدي الناس، كما تصف النبي بأنه المبعوث لكافة الناس. منها هذه الآيات:

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[2]،

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[3].

نشاهد أن الآيتين تخاطبان الناس جميعاً ولا تحصُران خطابهما في قوم وطائفة معينة، والشاهد على كلامنا هذا وجود الألف واللام في لفظة «الناس».

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[4]،

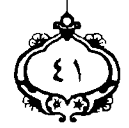
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

إنّ الآية تستخدم كلمتي «جميعاً وكافة» فضلاً عن «أل» في لفظة الناس بهدف التأكيد وتصرح بأنّ الناس هم كافة البشر.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[6]،

---

(١) راجع: مجموعة كتب، ج١٤، ص٢٨٩.
(٢) النساء: ٧٩.
(٣) الحج: ٤٩.
(٤) الأعراف: ١٥٨.
(٥) سبأ: ٢٨.
(٦) الفرقان: ١.



﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

إنّ الآية الأولى تصرح بأنّ هدف تنزيل القرآن على النبي هو توجيه الإنذار إلى كافة الناس (العالمين) والآية الثانية تصف النبي بـ رحمة للعالمين.

هذه الآيات تعرّف النبي بصراحة تامة، بأنه نبي للعالمين حيث لم تخرج شخصاً أو أشخاصاً أو قوماً أو مذهباً من هذه الدعوة العامة. وبالتالي يصبح من البديهيات أن تشمل هذه الدعوة أهل الكتاب. وفي غير هذه الحالة فإنه يطعن في شرعية أصل الدعوة العامة وكون النبي بشيراً ونذيراً، على الإطلاق.

هذه هي عالمية نبوة النبي وأنّ دعوته عامة موجهة لكل الناس. فمن الواضح أنها تعارض التعددية الدينية.

٤. القرآن كتاب عالمي

كما يعرّف القرآن نبيَّ الإسلام بأنه نبي عالمي، يصف نفسه بأنه كتاب أُنزل للناس كافة، وذلك من خلال مختلف الكلمات والألفاظ كالهادي والبيان والبلاغ والنذير والبصائر والموعظة والذكر والنور والبرهان والحجة الإلهية.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾[2]،

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[3]،

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[4]،

﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾[5]،

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.
(٢) إبراهيم: ١.
(٣) آل عمران: ١٣٨.
(٤) الأنعام: ١٨.
(٥) إبراهيم: ٥٢.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[1]،
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[2]،
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾[3].

إنّ الآيات تؤيد بصورة واضحة ادعاءنا القائل بنسخ الشرائع السابقة ومطالبة الناس بالإيمان بالإسلام والقرآن؛ لأنّه لو خرج شريحة من الناس من دائرة هذه الأحكام والتعابير العامة أو كان لهم الخيار في قبول القرآن أو البقاء على كتبهم الدينية، ففي تلك الحالات لا تتحقق الصفات القرآنية السامية كالهداية العامة أو برهان لوصفه بالعموم والمطلق. عندئذ تقتصر تسمية القرآن بالفرقان على معنى الفارق والذي يميز الحق من الباطل على موارد خاصة، بينما القيام بتخصيص وتقييد الآيات الآنفة الذكر يعارض نصها من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ ظواهر الآيات ترفض التخصيص والتقييد كما يقال. هناك روايات عدة في ما يتعلق بعالمية القرآن والرسالة النبوية سنشير إليها لاحقاً.

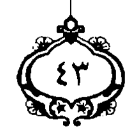
٥. التبشير بالإسلام في التوراة والإنجيل

لقد تم التبشير بظهور الإسلام وورد اسم النبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل. القرآن الكريم يصرح أنّ لأهل الكتاب علماً كاملاً بهذا الموضوع ويعرفون النبي محمداً معرفة أبنائهم غير أنهم يكتمون الحقيقة ويغضون الطرف عنها.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[4].

---

(١) النساء: ١٧٤.
(٢) الفرقان: ١.
(٣) التكوير: ٢٧؛ يوسف ١٠٤؛ الانعام ٩٠؛ ص: ٨٧.
(٤) الصف: ٦.



﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

هذه النقطة الأخيرة أي أنّ أهل الكتاب يعرفون حقيقة النبي معرفة أبنائهم وردت في آية أخرى حيث تضيف أنّ الكثير منهم يكتمون الحق.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

يوجد الكثير من الآيات في التوراة والإنجيل تشير إلى ظهور نبي الإسلام في مكة، مع العلم بأن الكثير من التحريف أصاب التوراة والإنجيل. نشير إلى بعض هذه الآيات هنا[4]،

الأول: ماذا تفعلون في يوم العيد المعين وأعياد الله لأنهم يذهبون إن يدمروا ستجمعهم مصر وتدفنهم موف[5] ومحمد يطالبهم بالفضة كجزية[6].

كما أخبر عن ظهور نبي باسم بارقليطا في إنجيل يوحنا أكثر من مرة.

الثاني: لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لا يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ[7]. **الثالث**: بِهذَا

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) الأنعام: ٢٠.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) التوراة، كتاب يوشع النبي ٥ ـ ١٠: ٩.

(٥) هي قبيلة كانت تعيش في مصر وهي التي دفنت قتلى بني إسرائيل بعد الدمار الثاني الذي لحق بـ بيت المقدس.

(٦) يعني أنه بعد ما ذهب بني إسرائيل ـ بعد دماريت المقدس الثاني ـ إلى مصر سيكون محمد هو الذى سيأخذ الفضة كجزية لهم. كتاب يوشع النبي آيات الخامسة حتى العاشرة.

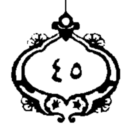
(٧) يوحنا: باب ١٦، الآية الـ٧.

كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ٢٦. وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ[١]. الرابع: وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً لمكث معكم إلى الأبد[٢].

---

(١) يوحنا: باب١٤، الآية ٢٥ إلى ٢٧.

(٢) يوحنا: باب ١٤، الآية ١٦. من المفيد أنْ نذكر قصة اعتناق أحد العلماء المسيحين الإسلام استلهاماً من لفظة بارقليطا وصار فيما بعد أحد علماء الإسلام الكبار وكتب في رد المسيحية كتاباً ضخماً بعنوان أنيس الإعلام في نصرة الإسلام. كتب عن النقاشات والجدل الكلامي الذي دار بين الطلاب المسيحيين حول فارقليطا بالقول: رأيت التلاميذ مجتمعين يتباحثون في مسألة علمية، وكان حديثهم يدور حول كلمة (فارقليطا) في السرياني و(پيرقليطوس) باليوناني، التي ذكرها (يوحنا) في إنجيله نقلاً عن المسيح عليه السلام. وكثر الجدال والنقاش حول هذه الكلمة، واختلفت الآراء في معنى هذه الكلمة، وانتهى النقاش وانصرف التلاميذ دون الوصول إلى نتيجة... وبعدها رجعت إلى غرفة المطران الأعظم فسألني: يا بني عند غيابي اليوم بأي موضوع تباحثتم؟ فذكرت له أنّ التلاميذ اختلفوا في معنى كلمة (فارقليطا) وأوضحت له الآراء التي طرحها التلاميذ في هذه المسألة فسألني: وما كان رأيك في هذه الكلمة؟ فأجبته بأنني قد اخترت قول المفسر الفلاني. فقال لي: لست مقصراً، ولكنّ الحق خلاف هذه الأقوال جميعاً، لأنّه لا يعرف معنى تفسيرها هذا الاسم الشريف في زماننا إلا القليل من الراسخين في العلم، فدنوت منه وجلست عند قدميه، واستعطفته قائلا: أيّها الأب الأعظم، إنك تعلم شدة تعصبي للمسيحية، وإني قد صرفت عمري من أوله إلى الآن في طلب العلم وتحصيله، فماذا يحدث لو تتفضل وتتلطف علي، وتوضح لي معنى هذا الاسم الشريف...؟ فرأيت عينيه اغرورقتا بالدموع وأجهش الشيخ بالبكاء، وقال: يا بني إنك والله أعز الناس عندي، ولك منزلة خاصة، ومع أنّ هذا الاسم الشريف له فائدة عظيمة، ولكن بمجرد انتشار هذا المعنى فإنّ المسيحيين سوف يقتلوننا معاً، إلا أنْ تعاهدني الله على أنك لا تفشي هذا السر في حياتي ولا تذكر اسمي بعد مماتي أيضاً، لأن المسيحيين إنْ علموا أنّ هذا التفسير أنا الذي كشفته فإنهم سيخرجونني من قبري ويحرقونني... فأغلظت له الأيمان بالله العظيم القاهر الغالب، وبحق عيسى ومريم عليهما السلام وبحق كل الأنبياء والإنجيل، بأني سوف لن أبوح بهذا السر عنك أبداً، ولا أذكر اسمك في الحياة وبعد الممات. فاطمأن لي وقال: يا بني إنّ هذا الاسم هو من الأسماء المباركة لنبي المسلمين صلى الله عليه وآله وهو بمعنى أحمد ومحمود، ومن ثم ناولني مفتاح تلك الغرفة الصغيرة، وقال: افتح الصندوق الفلاني ستجد الكتاب الفلاني والفلاني فائتني بهما، فذهبت وجئته بالكتابين، وكانا باليوناني والسرياني ومكتوبين على جلد قديم، وقد ترجم لفظ (فارقليطا) فيهما بمعنى أحمد ومحمد.





يذهب بعض المسيحيين إلى أنّ بارقليطا هو النبي الموعود في الإنجيل، لكن مكمن خلافهم هو هل بارقليطا هو نبي الإسلام أم لا؟ بارقليطا لفظة سريانية وهي ترجمة لـ بريكليطوس اليونانية وتعني المحمود[١].

الخامس: ورد في كتاب إدريس أسماء أهل بيت النبي إضافة إلى اسم النبي حينما شاهد النبي آدم خمسة أشباح منورة وقال الله عند تعريفهم: هم بارقليطا (محمد) إيليا (علي) طبطبة (فاطمة) شبر (حسن) سبر (حسين)[٢]. يوجد في الكتاب المقدس عدة بشارات حول النبي وقد أثارت نقاشات كثيرة. يتخذ بعض علماء اليهود والنصارى موقف الإنصاف والعدالة عند مواجهتهم هذه البشارة وإنهم أيدوا ظهور النبي محمد بالتمام والكمال. كما كتب بعضهم كتباً لإثبات نبوة النبي ونسخ الكتاب المقدس؛ من ضمن تلك الكتب كتاب أنيس الإعلام لـ محمد صادق فخرالإسلام والدين والدولة لـ علي بن ربان الطبري[٣].هناك مفكرون غربيون في عصرنا الراهن أيضاً اعتنقوا الإسلام نذكر منهم البروفسور حامد الغار أستاذ جامعة أمريكا وروجيه غارودي المفكر الفرنسي الشهير.

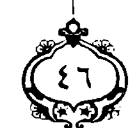
من الواضح أنّ التبشير بظهور الإسلام في الكتب السماوية السابقة لا يعني الإصلاح فحسب، بل القصد هو الإيمان بشريعته كما يدلُّ على ذلك ظاهر الآيات حين يلام أهل الكتاب لعدم إيمانهم بالإسلام. إن نبي الإسلام يؤكد بأنهم لابد أن يؤمنوا بالإسلام لأن التوراة بشرت بظهوره وذلك من

---

(١) تم حذف بارقليطا في الأناجيل في عصرنا الراهن وتستخدم المعزي بدلاً منه.

(٢) بشارات العهدين ص٢٣٠ من نافل القول إنّ بعض انصار التعددية يعتقدون بأنه تم التبشير بالإسلام في الأديان السابقة. للمزيد راجع: خرمشاهي بهاء الدين: قرآن پژوهي، ص٨١٠.

(٣) من ضمن هذه الكتب يمكن الإشارة إلى ميرزا محمد رضا صاحب إقامة الشهود في رد اليهود وحاج بابا قزويني كاتب محضر الشهود في رد اليهود والبرفسور عبدالاحد داوود الاسقف المسيحي وكاتب محمد في التوراة والانجيل والبرفسور لكنهاوزن الذي اعتنق الإسلام واختار اسم محمد لنفسه وله دراسات نشرت في الصحف.



خلال النقاشات التي دارت مع أهل الكتاب، فانه يخاطب اليهود بالقول: ألم تجدوا في كتابكم بأني رسول الله إليكم وكافة الناس؟ إذا كان هذا هو الواقع خافوا الله واعتنقوا الإسلام.

هذه الروايات تثبت أنّ النبي لم يقبل ببقائهم على الدين السابق، أو كما يقال التيولوجية والإلهيات العالمية فحسب، بل يدعوهم إلى اعتناق الإسلام بصراحة.

اتهام الأنبياء

تبين مما شرحناه آنفاً أنّ الأنبياء في الأساس كانوا على علم بأصل النسخ وظهور النبي من بعدهم، كما كانوا يذكرون اسمه وميزاته حتى يعرفه الناس ويؤمنوا به. سبق لنا وذكرنا آيات من التوراة والإنجيل في هذا السياق. أما الادعاء بأنّ الأنبياء كانوا يبعدون الناس عن الأديان والمذاهب الأخرى ـ بمعناها العام حيث تكون الشريعة السماوية اللاحقة من ضمنها ـ ويدعونهم إلى دينهم فقط[1]، فيصبح مجرد اتهام.

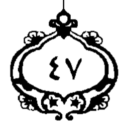
٦. دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وتأنيبهم

قلنا إن نبي الإسلام هو نبي عالمي، والقرآن كتاب سماوي يخاطب الناس جميعاً في كافة أنحاء المعمورة، ثم إنه يشمل أهل الكتاب من حيث تطبيقه بصورة عامة ومطلقة على المؤمنين به. هذا وهناك الكثير من الآيات تخاطب أهل الكتاب بشكل خاص وتعتبرهم المخاطبين لنبي الإسلام ونزول القرآن وتطالبهم بأن يعتنقوا الإسلام.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ

---

(١) كل نبي وقائد ديني يدعو الناس إلى دينه فقط بمعنى انه لايمكن ان يصبح تعددياً كان فحوى رسالته في الاساس تنصب على دعوة الناس اليه وابعادهم عن الفرق والمذاهب الاخرى. راجع سروش، عبدالكريم: صراطهاي مستقيم، ص١٤٠.



تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

إن الآية الأخيرة تشير إلى ظهور الإسلام بعد زمن على فترة من الرسل وتحذر أهل الكتاب من رفضهم الإسلام. أما الآية التي سبق ذكرها فتخبرهم بظهور الإسلام وتذكرهم بأنّ طريق الإنقاذ والخروج من الظلمات إلى النور يتحقق في ظل القرآن كما يتجلى الصراط المستقيم في القرآن.

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾[3].

هذه الآية تدعو أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام بصريح العبارة وتعد الرافضين للإسلام من الكفار.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[4].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5].

لهاتين الآيتين دلالة واضحة، فهما تؤنبان وتذمان أهل الكتاب لأنهم يكتمون أحقية الإسلام ويكفرون به.

سيرة النبي ﷺ

دعا النبي، وبتوجيه من القرآن، أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام وترك دينهم وذلك عبر توجيه الرسائل لرؤساء الدول منها إيران والحبشة والروم

(١) المائدة: ١٥ ـ ١٦.
(٢) المائدة: ١٩.
(٣) البقرة: ٤١.
(٤) آل عمران: ٧٠.
(٥) آل عمران: ٧١.



وقادة القبائل اليهودية والمسيحية، داعياً إياهم إلى الإسلام، حدث هذا في برهة زمنية كان الإسلام فيها، يحتاج إلى الأمن والابتعاد عن معاداة القوات الأجنبية.

يمكن استنباط النسخ من هذه الدعوات بوضوح لسبب بسيط وهو: لو لم تنسخ اليهودية والمسيحية وكان لهما الأحقية في موازاة الإسلام فإن إرسال النبي الرسائل وتوجيه الدعوة المتضمنة اعتناقهم الإسلام لم يصبح لها جدوى. أضف إلى هذا أنّ النبي يذكر في رسائله تلك، أنّ الهداية والسير على الصراط المستقيم يمرّان عبر اعتناق الإسلام، وليس لهذا مفهوم سوى النسخ.

يدعو الحاكم المسيحي لـ الحبشة، النجاشي بأن يسير على الصراط المستقيم ويؤمن به والذي جاءه.

(إني ادعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله)[1].

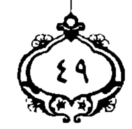
كما يكتب في رسالة إلى المقوقس الحاكم المسيحي القبطي في مصر وهرقل ملك روم: ادعوكما إلى الإسلام فإذا لم تؤمنا به ستحملان ورز الأقباط والروم كلهم[2].

وفي رسائل أخرى يتحدث النبي عن نسخ الأديان السابقة وأنه تمّ التبشير به في تلك الأديان، من جهة، ومن جهة أخرى يصرح بأنّ الانتصار النهائي سيكون للإسلام.

المهدوية

إن قضية دعوة أهل الكتاب والملل والنحل الأخرى إلى الإسلام وردت

(١) مكاتيب الرسول ج١ ص١٢١.
(٢) مكاتيب الرسول ص٩٧ و١٠٥.



في روايات تتحدث عن ظهور إمام الزمان أو المهدوية حيث نجدها تؤيد تلك الدعوة تأييداً، ذلك أنّ هذه الروايات لا تكتفي بالتحدث عن أنّ الإسلام عُرِض على الأمم الأخرى فحسب، بل تهدد الذين يرفضون الدعوة من اليهود والمسيحيين بالقتل.

«فعرض عليهم الإسلام فمن اسلم طوعاً، أمره بالصلوة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب عليه ومن لم يسلم ضرب عنقه، حتى لا يبقى في المشارق والمغارب احد إلاّ وحّد الله»[١].

فلنتساءل: لو لم تُنسخ الأديان المختلفة وكان لها أحقية، فهل تصبح إرسال الرسائل وتوجيه الدعوات باطلة وملغية؟ ثم ألم يكن من الأصح إن يتحدث النبي الذي أقام الإسلام وأسّس حكومة جديدة عن أحقية الأديان والطرق المستقيمة، بدلاً من توجيه الدعوة وبالتالي المواجهة وما يترتب عليها من خلق الأعداء؟

المغالطة وتحريف دعوة الأنبياء

أدرك العديد من دعاة التعددية الدلالة البيّنة والواضحة التي تنص على دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وأنها تبطل نظريتهم، فأضحوا يصرحون بأن مآلهم هو عرض وتعريف التعددية فحسب[٢].

من الواضح أنّ قولهم لا ركيزة له، ومن الواضح أنّ الإسلام لايدعو المعارضين ليقدم نفسه ويعرض عليهم ديناً جديداً فقط؛ لأنّه يصف من أدار ظهره له بالكفر وعدم الهداية وعدم الانصياع إلى الحق، ويعدهم بالعذاب الإلهي. تشبه دعوة النبي الناس إلى الإسلام إرشاد الكفيف إلى الطريق الصحيح، وليس كرسام يعرض لوحاته الفنية.

(١) بحار الانوار ج٥٢ ص٣٤٠ وج١٤ ص٣٥٠.
(٢) سروش، عبدالكريم المصدر نفسه ص١٥٦و١٨٥.





إنّ الاستدلال على رفض شريحة أخرى من أنصار التعددية، ضرورةَ اختيار الإسلام كدين والدعوة له[1] كبيت العنكبوت وهن ولا ركيزة له بتاتاً، بناءً على ما قلناه سابقاً.

٧. الإسلام شرط لهداية أهل الكتاب

تناولنا حتى الآن بالبحث بعض الآيات التي تبشر بظهور نبي الإسلام وتذم أهل الكتاب؛ أما الآن فسنتطرق إلى آيات من القرآن الكريم تؤكد بأن الهداية الإلهية الحقيقية والكاملة تمر عبر اعتناق أهل الكتاب الإسلام؛ كما سيؤدي الإعراض عنه إلى الكفر والغضب الإلهي.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[2]

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3]

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[4]

﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[5]

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[6]

---

(١) إذا كان صديقي على دين الهندوس فله شريعته ولا أرى ضرورة أن أدعوه إلى الإسلام. بينا؛ دكتور محمود: السماوات السبع العدد٢ ص١٤.

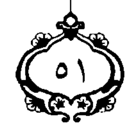
(٢) المائدة: ٦٥.

(٣) الأعراف: ١٥٨.

(٤) آل عمران: ٨٦.

(٥) آل عمران: ١١٠.

(٦) البقرة: ١٣٧.



﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾(١)

إن تلك الآيات، ولا سيّما الشرطية منها، التي تعتبر أنّ اعتناق الإسلام شرط الهداية وغفران الذنوب صريحة الدلالة وتثبت ادعاءنا لأنّه لو بقيت الأديان السابقة على أحقيتها فإن ظاهر وفحوى هذه الجمل الشرطية يصبحان من الملغيات. لنأخذ بعين الاعتبار أنّ شرط الهداية هو اعتناق الإسلام لكي يتضح لنا معنى وفحوى الإسلام في تلك الآيات.

٨. رفض غير الإسلام

إن حقيقة الإسلام هي التسليم المحض والمطلق إلى الله. لكن هذا التسليم يتمظهر في كل عصر في شكل خاص، ويبرز نفسه في إطار خاص؛ خذ مثالاً حقيقة التسيلم والإسلام في زمن موسى، إنها قبول دينه، أمّا في عصر النبي عيسى فهي اعتناق دينه، وفي زمن الإسلام حقيقة التسليم لا تتحقق إلا بشريعة النبي محمد ﷺ.

بعبارة أخرى إن الإسلام الحقيقي يجعل الشخص المؤمن يلتزم بالتعاليم السماوية والأوامر الإلهية. ففي غير هذا إن مثل هذا الإيمان سينتهي بنا إلى الكفر ثم إلى جهنم أو على حد تعبير القرآن إن الإيمان ببعضه يصنف ضمن الكفر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(٢)

بناءً على هذا إن ما يقبل عند الله هو الإيمان الكامل، أي الاعتقاد بأحقيّة الأديان الإلهية، منها الدين الاسلامي باعتباره الدين الأخير والناسخ.

---

(١) آل عمران: ٢٠.
(٢) النساء ١٥٠ ـ ١٥١.



الآية الآنفة الذكر تعتبر إيمان أهل الكتاب هو الإيمان بالبعض وتصنفه ضمن الكفر. وهنا يتضح أنّ الآيات التي تفسر الدين بالإسلام لا تقصد المعنى اللغوي للإسلام أي التسليم إلى الله فحسب، بل تذهب إلى أنه التسليم الكامل لله، ويتحقق ذلك بالإيمان بالإسلام وتصديق نبوة نبي الإسلام كخاتم الأديان وناسخها في نفس الوقت.

الآية التي ستأتي بعد حين تفسر الآية الآنفة الذكر وتؤكد أنه لا يقبل ديناً غير الإسلام عند الله كما تعتبر الرافضين له من الخاسرين في الآخرة.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١)

أمّا أن نذهب إلى القول، عند تفسير الإسلام في الآية، بأنه التسليم لله وحده فقط وعدم ضرورة الإيمان بدين خاص كالإسلام، فهذا يعارض هذه الآية والآيات الأخرى. ولننتبه إلى أنّه عند تفسير آية ما، علينا أخذ الآيات الأخرى بعين الاعتبار.

فضلا عن هذا إن أول ما تبادره إلى الذهن لفظة الإسلام هو دين الإسلام لا التسليم المطلق في ما يلي آيتان تحصران الصراط المستقيم بالإسلام كسابقتهما:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢)

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾(٣)

إن الآية الأخيرة تعد اعتناق الإسلام البوابة الرئيسية للهداية (سوف ندرس بعدئذ هذه الآية كما سنذكر آراء بعض المفسرين في نقدهم استدلال دعاة التعددية لهذه الآية).

---

(١) آل عمران: ٨٥.
(٢) آل عمران: ١٩.
(٣) الأنعام: ١٢٥.



٩. تكفير أهل الكتاب

شاهدنا في الآيات السابقة أنّ القرآن يدعو المعارضين، سيَّما أهل الكتاب، إلى الإسلام، كما يضع شرطاً لهدايتهم، وهو اعتناق الإسلام. تشير الآيات السالفة الذكر إلى أنّ الدين الذي يُقبل عند الله هو دين الإسلام المقدس، والسبب عائد إلى عدم تحقق الإسلام الحقيقي في حالة عدم اعتناقهم الإسلام.

إن القرآن، من خلال الآيات التي تأتي بعد، حين يصدر حكم الكفر الحقيقي بحق أهل الكتاب بعدما يوجه الإنذار الأخير ويمهلهم، يرى عدم انصياعهم لحكم الله. هذه الشريحة من الآيات تؤكد كسابقاتها على مسالة تتمثل في انه لو لم يؤمنوا بنبي الإسلام ويفرقوا بين الأنبياء سيصبح إيمانهم بالله والمعاد، ـ وهم يعتقدون به ـ ، محل ريبة ورفض.

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾(١)

هذه الآية تخاطب اليهود وتطالبهم علناً وصراحة بأن يؤمنوا بالقرآن الذي يؤيد الإنجيل، وتحذرهم من الكفر عند رفضه نتيجة للعناد أو الأهواء المادية.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾(٢)

الآية الأخيرة تتهم أهل الكتاب بعدم إيمانهم بالله ويوم القيامة(٣) وعدم

(١) البقرة: ٤١.

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) يجيب العلامة طباطبائي في معرض رده على شبهة تقول: كيف يتهم القرآن أهل الكتاب بعدم الإيمان بالله والمعاد بينما تؤيد ايمانهم الآيات الأخرى كـ٨٠ و١١١ من سورة البقرة=



الالتزام بدين الحق؛ ولهذا تصدر حكماً بأن يقاتلهم المسلمون حتى يوقفوا الحرب ويعطوا الجزية في نهاية المطاف.

إن لتَيْنِكَ الآيتين دلالة واضحة على نسخ دين عيسى وموسى؛ لأنّه لو كانت شريعة عيسى وموسى هي الصراط المستقيم ولم تُنسخا عند ظهور الإسلام، لَما كان من الضروري دعوتهم إلى الإسلام ثم تكفيرهم أو قتالهم في حالة الرفض.

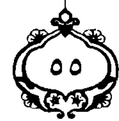
نرجع إلى الآية ١٥٠ من سورة النساء التي أوردناها في ما سبق؛ فهي تعتبر الإيمان ببعض الأنبياء وعدم الإيمان بالبعض الآخر من مصاديق الكفر. هناك آيات أخرى نجدها تصف أهل الكتاب بالكفار انتهينا من تعداد بعض منها آنفاً وسنشير إلى البعض الآخر لاحقاً.

١٠. النهي عن الارتداد

تضع التعددية الدينية الأديان التي لها أتباع كثر، وبالذات اليهودية والمسيحية، في موازاة الإسلام وتصفها بـ (الصراط المستقيم). أما ضرورة تحقق هذه الرؤية كما يصرِّح أنصار التعددية فهي أنّ الشخص يهتدي إلى الحق ويبلغ السعادة باختياره أيّاً من الأديان الثلاثة.

هناك من يزعم أنّه يجوز ترك أي من الأديان كالإسلام واختيار دينٍ آخر لأنهم يفترضون أنّ ايّاً منها لايتمتّع بأرجحية أو يحظى بأولوية حيث جميعها تستطيع إنقاذ الإنسان وإيصاله إلى برّ النجاة والهداية، أما القرآن فقد رفض هذه الرؤية رفضا باتاً في عدة آيات عند طرحه موضوع الارتداد وأبطل حجة دعاة التعددية.

=ثم نفس لفظة أهل الكتاب تؤكد بأنهم مؤمنون بجيب: انه سيطعن في إيمانهم بالله والمعاد عند رفضهم الإيمان بالاسلام لان الإيمان كامل لايتجزأ، وبعبارة أخرى لم يقبل إيمانهم. الميزان ج٩ ص٢٤١ ج٥ ص١٢٦.



الارتداد مشتق من فعل رد، وهو الرجوع والعودة[1]. يطلق المرتد، في قاموس القرآن، على مسلم ترك دينه واعتنق دين أهل الكتاب أي اليهودية أوالمسيحية.

يطرح القرآن موضوع الارتداد في ما يقارب ١٠ آيات، ويمكن تقسيمها إلى فئتين:

النهي عن منع وتأنيب الارتداد المطلق

الفئة الأولى:

هي آيات تمنع الارتداد عن الإسلام بصورة مطلقة وتصنفه ضمن الكفر وتعتبره يعادل الضلالة ومحبطاً للأعمال كما أنه من عمل الشيطان ويشمله عذاب الله:

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[3]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[4]

تثبت الآيات دعوانا بصورة واضحة، حيث تصف الآيات الخروج عن الإسلام والإيمان بالمذاهب والأديان الأخرى بمثابة الكفر والضلالة ويؤدي إلى حبط الأعمال الحسنة، واليهودية والمسيحية هما ضمن تلك الأديان الأخرى، حسب الآيات، ولا سيما الآية الأخيرة التي تنبه المسلمين إلى أنّ الإسلام هو الدين الذي يحبه الله. ولو فرضنا جدلاً ارتداد

(١) لسان العرب، ج٣، مادة ردّ وسائر كتب اللغة.
(٢) البقرة: ١٠٨.
(٣) البقرة: ٢١٧.
(٤) المائدة: ٥٤.





المسلمين عن دينهم فإن الله سيأتي بقوم ملتزمين بدينه أي الإسلام؛ يحبهم ويحبونه. تدل هذه الآية على أنّ الارتداد والخروج عن الإسلام أياً كان شكله يخرج الإنسان من دائرة المحبة الإلهية.

الفئة الثانية:

تشير إلى بعض أهل الكتاب ممن كانوا يحيكون المؤامرات لارتداد المسلمين حتى يعتنقوا دينهم.

نستنتج من مجمل تلك الآيات أنّ أهل الكتاب كانوا يبذلون جلّ جهدهم لارتداد المسلمين في صدر الإسلام، ويحاولون بشتى الطرق، منها الحرب وخلق الأزمات النفسية كإيمانهم بالإسلام في الظاهر ثم الارتداد عنه، لكي يحققوا أهدافهم المشؤومة في مدة زمنية قصيرة؛ إليكم الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[1]

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾[2]

تصنف هذه الآيات الارتداد عن الإسلام بأنه مصداق حبط الأعمال والخلود في النار، وهي لا تنسجم بأي شكل من الإشكال، مع الزعم القائل بتعدد الصرط المستقيمة. الآية التالية تدل بصريح العبارة على قضيتين: الأولى محاولات اليهود والنصارى لجعل المسلمين يتبعون ملتهم وحصر الصراط المستقيم بالإسلام.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3]

---

(١) آل عمران: ١٠٠.
(٢) آل عمران: ٧٢. لمعرفة أسباب نزول الآية انظر: الدر المنثور، ذيل الآية.
(٣) البقرة: ١٢٠.



يؤكد الشطر الأول من الآية على أنّ اليهود والنصارى لن يرضوا عن النبي حتى يتبع دينهم ويرتدّ عن الإسلام، والعياذ بالله؛ هنا يجب أن يتحدث دعاة التعددية عن الطرق المستقيمة والمساواة بين اليهودية والمسيحية والإسلام وفقا لمبادئهم. أما في الشطر الثاني فنجد موقفاً آخر خلافاً لمبادئهم؛ لأن الآية تحصر الهداية بالقرآن بدلاً من تأييدها اليهودية والمسيحية[1]، ولو ضمنيا كما تحذر النبي وبالأحرى المسلمين من إتباع دينهم واصفة جهودهم بالأهواء النفسية، ثم يهدد الله نبيه بقطع العلاقات (بمعنى النصرة والولاية) لو اتبعهم، ذلك لما يترتب على إتباعهم من نتائج حيث إن عملهم هذا يساوي رفض الأحقية الحصرية للإسلام.

إن الآيات تدل على بطلان التعددية بصورة جلية لا تحتاج إلى الإيضاح، وشاهدنا هو إصدار حكم المرتد من قبل النبي والأئمة، كما تروي بعض الروايات وتصرح بوجوب قتل من يرتد عن الإسلام ويعتنق اليهودية والمسيحية. يقول النبي ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه.

أصدر النبي حكماً بقتل المرتدّ وفي عدة مواقف منها عند فتح مكة، كما أمر الإمام علي عليه السلام بقتل عدة مسلمين اعتنقوا المسيحية[2]. أخيراً أصبح من الواضح أن الحكم أعلاه مع وجهة نظر أنصار التعددية.

١١. تهديد أهل الكتاب بالعذاب

قلنا إن بعض الآيات تعتبر اعتناق الإسلام شرطاً للهداية والسير على الصراط المستقيم، وتلوم أهل الكتاب لأنهم يرفضون الإسلام. يتحدث الله

---

(١) دليلنا على القول بالحصر هواسلوب الآية ودلالتها وقصر القلب احد أساليب الحصر في اللغة العربية. راجع الميزان ج١ ص٢٦٥.

(٢) للمزيد حول قضية الارتداد راجع وسائل الشيعة ج١٨ ابواب المرتد؛أصول الكافي ج٢ كتاب الإيمان والكفر،باب أن الإسلام يحقن به الدم؛ مَن لا يحضره الفقيه ج٤؛التهذيب ج٤.



مع الكفار في الآيات الأخرى بلغة العذاب ويصفهم بالكافرين والملعونين والمطرودين من رحمة الله، وبالظالمين والفاسقين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1]

يحدد الله مهلة زمنية لأهل الكتاب مطالباً إياهم باعتناق الإسلام قبل أن يطمس وجوههم ويزيلهم من الوجود، أو يصيبهم مثلما أصاب أصحاب السبت. لا نريد الخوض في تفسير الآية وما هو القصد من طمس الوجوه أو عذاب أصحاب السبت، لكن تعيين مهلة زمنية وتهديد أهل الكتاب بالعذاب دليل واضح على ضرورة اعتناق الإسلام وانتهاء أحقية التوراة والإنجيل.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]

هذه الآية تذهب إلى أنّ أهل الكتاب الذين كانوا يعيشون في شبه الجزيرة العربية كانوا ينتظرون ظهور النبي منذ أمد طويل، وكانوا يعلنون في المناقشات الكلامية الدائرة بينهم وبين الكفار والمشركين في مكة والمدينة، عن ضرورة رص صفوفهم عند ظهور الإسلام وإلحاق الهزيمة بالكفار. غير أنهم رفضوا في ما بعد اعتناق الإسلام لأسباب ما. وبذلك وصفهم الله بالكفار ولعنهم.

١٢. الوعد بظهور الإسلام على الأديان كافة

يبشر القرآن في عدة آيات سنشير إليها لاحقاً، بأن الإسلام سيظهر على الأديان الأخرى؛ بعدما يصف دين الإسلام المبين بدين الحق.

---

(١) النساء: ٤٧.

(٢) البقرة: ٨٩.



﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(1)

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(2)

إن الآية الثالثة كالآية الأولى، تكررت في سورة الصف كما هي.

النقطة المهمّة هنا هي أن الوعد الإلهي بانتصار الإسلام لا يعني انتصاره على السلطات الظالمة والأباطرة فحسب، بل يعلن القرآن صراحة بأن الإسلام يظهر على كافة المذاهب والأديان الأخرى يوماً ما ولو كره المشركون والكفار.

ادعاؤنا مدعوم بأدلة بينة، فلو استمرّت الأديان في موازاة الإسلام على أحقيتها لم يكن هناك مجالٌ لكي يظهر الله ديناً ما من الأديان الحق.

الألف واللام في لفظة الدين تجعلنا نستنتج ظهور الإسلام على الأديان الأخرى؛ أضف إلى هذا أنّ عبارة «كله» التي أتت بعد الدين في الآية بغرض التأكيد على استنباط العموم من لفظة الدين، تزيل أدنى شك وريبة ولا تبقى مجالاً لطرح الشبهات. أما الدليل الثالث: فهو تفسير المفسرين الحقيقيين لكلام الله أي الأئمة عليهم السلام أنهم يعتقدون إن القصد من الدين هو الأديان كافة؛ يقول الإمام علي عليه السلام في تفسيره الآية: ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم(3).

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(4)

---

(1) التوبة: ٣٣.
(2) الفتح: ٢٨.
(3) بحار الأنوار، ج٢٤، ص٣٣٦، ج١٦، ص٣٤٧، ج٥٢، ص٣٤٠.
(4) النور: ٥٥.



هذه الآية تعلن انتصار الإسلام النهائي بصراحة، وتذكر بأنّ أمّة الإسلام هي المعنية بالوعد الإلهي.

وردت روايات كثيرة في تفسير تلك الآية وتؤيد بأنّ الانتصار النهائي على الأديان الأخرى سيكون للإسلام، وسنشير إلى بعضها.

ورد في حديث قدسي أنّ الله تعالى تعهد بأن يجعل الإسلام الدين الغالب والمنتصر على الأديان الأخرى وعلى أتباع الأديان الأخرى أن يعتنقوه أو يؤدوا الجزية إلى المسلمين.

«حق عليَّ أن اظهر دينك على الأديان حتى لايبقى في شرق الأرض وغربها دين إلا دينك أو يؤدّى إلى أهل دينك الجزية»[1].

إنّ النبي، وفي رسالة موجهه إلى الحاكم المسيحي لليمامة يؤكد أنّ النصر سيكون للإسلام في كافة أنحاء المعمورة من خلال العبارة التالية:

واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحاضر[2].

يكتب العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الأولى أنها تدل على أنّ الله يريد نشر دينه في العالم، وعلى المسلمين أن يبذلوا جهودهم في سبيل نشره[3].

يشير الإمام علي في تفسيره عبارة «ليظهره» بأنها تعني الغلبة وأن الإسلام سيحكم الأرض ويهيمن على الأديان الأخرى ويجيب، عند استشارة الخليفة عمر له لحرب بلاد فارس، إلى تلك الآية:

إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأيده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود من الله حيث قال عزّ اسمه الآية.

---

(١) بحارالأنوار، ج١٠، ص٤٦، ج١٦، ص٣٤٧.
(٢) مكاتيب الرسول، ج١، ص١٣٦.
(٣) الميزان: ج٩، ص٢٤٧.



يتحدث الإمام عن عزة الإسلام وانتصاره على الأديان الأخرى وإذلال أعدائه من كافة الشعوب، وقد أوردناه في الصفحات السابقة عند الحديث عن أدلة النسخ.

ردّ على شبهة

حاول البعض عند طرحهم فرضيات ضعيفة لا تتجاوز الاحتمال أن يشككوا في مصداق الآيات المذكورة؛ حيث استندوا إلى الخلافات بين بعض المفسرين في الضمير «ه» في عبارة «ليظهره» هل هو الدين أم الرسول. ثم تمسكوا بكثرة معاني الآية واختلافها كذريعة لإثبات مزاعمهم لكي يقووا فرضيتهم ويدعموها. فإذا فرضنا أنّ الضمير يعود على رسوله فالآية تعني أنه ليظهر العلم والمعرفة وليس النصر وغلبة الإسلام على الأديان الأخرى كعزة الإسلام وإظهاره على الأديان في جزيرة العرب آنذاك.

من الواضح أن معنى الآية ليس كما طُرح هنا بالضرورة، وهو المعنى الظاهري أساسا الذي يخطر بالبال ولا يجمع رأي المفسرين حوله.

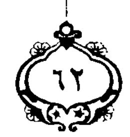
ينقل الشيخ الطوسي عن ابن عباس قوله إنّ الضمير «ه» في «ليظهره» هو الرسول أي أنّ الله يعطيه علم كافة الأديان حيث لا تغيب عنه لا شاردة ولا واردة. إنّ المهم هنا هو أنّ مثل هذا المعنى الدالّ على الظهور والإظهار الذي يرافقه حرف «على» ورد في القرآن. صحيح انها تفيد الغلبة والانتصار أكثر الأحيان، لكن ذكرت مرة بمعنى العلم والمعرفة بالشيء، يقول الله:

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[1][2].

---

(١) النور: ٣١.

(٢) قرآن پژوهي، ص٥٨٤ من اللافت أنّ الكاتب وفي ترجمته للقرآن الذي نشره بعد عامين كشف ان الاظهار يعني العلم وهذه كانت جديدة بالنسبة إليه. راجع سورة التحريم الآية ٣ وسورة الجن الآية ٢ و٣٢.



الناقد الفاضل يفسر الآية، بعد نقده مصداق الآيات الدالة على تكوين الحكومة الإسلامية وظهورها على الأديان الأخرى، قائلا: قد نستطيع أن نأتي بتفسير آخر ذي شرعية أي انتصار التوحيد على الشرك[1]. ثم يستنتج من هذه الاحتمالات والتفاسير المتعددة: النتيجة، وبعد ما تطرقنا إلى مختلف المعاني لهذه الآية، هي أنه لا يمكن ان نقول بسهولة إن هذه الآية تعلن انتصار الإسلام على الأديان الأخرى[2].

عبارته تثير عدة ملاحظات، منها:

أ) مخالفة ظاهر الآية:

كما أكد الناقد في حديثه، فإنّ أول ما يتبادر إلى الذهن هو معنى الغلبة. وأنّ قاعدة العقلاء والعقل في تفسير الكلام هي البناء على الظاهر، إلا أن نجد ما يثبت خلافه؛ وعليه قلنا إنها تعني الغلبة. هذا هو المعنى الظاهري للآية. اللهم إلا ان يكون هناك من لا يعترف بظاهر القرآن كحجة، لكن، لحسن الحظ، فإنّ الناقد يعترف به ويقبله[3].

لهذا فإنّ رفض ظاهر الآية، عند من يقبل بالصغرى (وهي معنى الغلبة في الآية) والكبرى (حجية الظواهر) ليس مسوَّغاً لمجرد وجود الاحتمالات الأخرى، والسبب عائد إلى أنّ الاحتمالات لم تبلغ الدرجة التي يمكن معها الطعن بظاهر الآية.

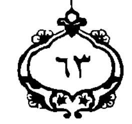
ب) عدم التناسب مع آخر الآية:

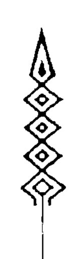
لو افترضنا أنّ «ليظهره» تعني إظهار العلم والمعرفة بمعنى أنّ الله أرسل نبيه بدين الحق ليعلمه خفايا كافة الأديان ولو كره المشركون، فإنّ بداية

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦، مقاله قرآن وقرآن پژوهي.





الآية لا تناسب آخرها ثم إذا كانت القضية مجرد علم ومعرفة يكتسبهما النبي بخبايا الأديان والمذاهب الأخرى فهذا لايؤدي إلى كره المشركين. بيد أنّ ما يثير انزعاجهم وغضبهم (انظر استخدام لفظة الإكراه) هو تطور الإسلام وانتصاره على الأديان الأخرى، بينما يصر الله ويؤكد في الآيتين الشريفتين بأنّه سيحقّق وعده في (ليظهره على الدين) شاء المشركون أم أبوا. إذاً فهذا سياق الكلام ينطق علناً ويفسّر لفظة (يظهر).

ج) الروايات المتواترة:

هنالك الكثير من الروايات المتواترة أشرنا إليها من قبل، والتي تؤكّد على أنّ ظاهر الآية هو التفسير الصحيح لها.

د) عدم تحديد معنى العلم:

لو وافقنا على أن مرجع ضمير النصب في «ليظهره» عائد إلى رسوله وليس إلى الدين فلا يمكن القول بأن «ليظهره» تعني العلم والوعي، بل يرجح استنباط معنى الغلبة في هذه الحالة. بمعنى أن: الله نصر الرسول على كافة أتباع الأديان الأخرى، كما يشير الزمخشري إلى هذا المعنى[1].

هـ) الخلاف في استخدام لفظة «الإظهار» بمعنى العلم:

في ما يتعلق بالقول بأن كلمة الإظهار تعنى العلم في عدة آيات من القرآن والتي يذكرها البعض لدعم رأيهم، فيمكن الإتيان بالنقاط التالية:
١.في سورة النور لم يتفق حول معنى العلم ليس المفسّرون فحسب بل لم يشترك علماء اللغة والأدب الرأيَ في هذا المجال حيث نجد أن بعض المفسرين فسروا عبارة لم يظهروا بمعنى الغلبة والانتصار، منهم فخر

(١) الزمخشري،الكشاف، ج٢، ص٢٦٥.

الرازي[1] والطبرسي[2] والعلامة الطباطبائي[3] ومن الأدباء الذين ينحون هذا المنحى، الفراء والزجاج[4].

٢. لو نفترض أن كلمة إظهار استخدمت بمعنى العلم في الكثير من العبارات، فبمجرد هذا الافتراض لا يمكن التشكيك في دلالة الآية.

و) غلبة الإسلام وليس الأديان التوحيدية كافة:

أمّا عن تفسير الناقد الفاضل القائل بأنّ كافة الأديان التوحيدية تنتصر على الشرك فلا بدّ من القول إن هذا التفسير لا يعارض ظاهر الآية فحسب بل يخالف نص الآية، والدليل على ذلك أن الله يبشر بانتصار الدين الذي أبلغه الرسول ويؤكد على هذا في عدة آيات منها:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[5]

في هذه الآية يبشر الله المؤمنين ويعدهم بالنصر في أرجاء الأرض، كما يعلن انتصار دين الإسلام ونهاية حقبة الخوف والرهبة. نجد في هذه الآية أن العبارة «ليمكن لهم دينهم» حلت محل «ليظهر» التي كانت مثار الشبهة للبعض، ولا يبدو أنها تترك مجالاً لأحد لإثارة الشبهات نظرًا لمعنى التمكين بداية الآية وآخرها وفحواها.

١٣. تحريف التوراة والإنجيل:

لو رفضنا جدلاً الاعتراف بالمبادئ القرآنية والروايات والأدلة الأخرى

(١) الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، ج٤، ص١٣٨.
(٢) الشيخ الطبرسي: مجمع البيان ج٤ ص١٣٨.
(٣) الميزان ج١٥ ص١١٢.
(٤) التفسير الكبير.
(٥) النور: ٥٥.



التي تثبت النسخ وانتهاء أمد الشرائع، ثم في المقابل اعترفنا بأحقيّة المسيحية واليهودية، فهذا يقتضي الاعتقاد بأنّ الله طلب من اليهود والنصارى كما المسلمين القيام بتعاليم وتكاليف شرعية وعملية وبلوغ الدرجات المعنوية وتحقيق أصل العبودية، وعليه يصبح عدم القيام بها بمثابة تمرّد وارتكاب للمعاصي.

هنا تبرز النقطة الهامة التي تقول: لو كانت هناك أدلة تثبت تحريف دين إلهي ما أو تحريف الكتب الدينية والسماوية، فما هي مسؤولية طلاب الحق في هذه الحالة؟ ثم هل يجوز لأتباع دين محرف حلل الحرام وحرم الحلال البقاء على شريعتهم المحرفة وعندهم دين إلهي صحيح وحقّ؟ ألا يؤدي هذا الدين بهم إلى ترك التعاليم الإلهية؟ ألا يحكم العقل السليم بأن يؤمنوا بالشريعة الخالصة للانصياع للتعاليم وعدم مخالفة الله؟

لايبدو أنّ هناك من يشكك في قضية العودة إلى الشريعة الخالصة والحقّة، لكن المشكلة الرئيسية هي إثبات ثم تطبيق الصحيح من غير الصحيح. أقول متأكداً بأن هناك أدلة ومستندات كثيرة تثبت تحريف المسيحية واليهودية، أشير إلى بعض الآيات التي استند القسم الأعظم من المفسرين إليها:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾(1)

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾(2)

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا

---

(1) المائدة: ٤١.
(2) النساء: ٤٦.



مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[1]

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[3]

يتحدث الله بكل صراحة، في هذه الآيات، عن تحريف الكتب بوساطة علماء اليهود والنصارى، ويذكر بأنهم كتبوا الكتب بأيديهم ليشتروا ثمناً قليلاً.

نقل الطبرسي في أسباب نزول الآية الأخيرة عن ابن عباس، أن الآية تخاطب اليهود والنصارى باعبارهم من حرفوا الإنجيل والتوراة فأضافوا إلى الكتاب أو حذفوا منه[4].

التشكيك بعدم دلالة القرآن على تحريف الكتاب المقدس

هناك من يزعم أنّ القرآن لا يدل على تحريف التوراة والإنجيل في دلالة الآية الآنفة الذكر قائلا:

نرى أنه ليس في القرآن ما يدل على حدوث التحريف المصطلحي في التوراة والإنجيل، أي الإشارة إلى تغيير نص الكتاب بالزيادة والنقصان، بل يقول القرآن إنها تعرضت للتحريف المعنوي وإنهم فسروه بغير معناه ثم

(١) المائدة: ١٣ ـ ١٤.
(٢) البقرة: ٧٥.
(٣) البقرة: ٧٩.
(٤) للمزيد راجع: جوادي آملي عبدالله: شريعت در آئينه معرفت، ص١٠٢ مركز نشر فرهنگي رجاء، مصباح يزدي، محمد تقي: راهنما شناسي، مصباح يزدي ص٣٥٩ مركز مديريت حوزه علمية،قم. سبحاني، جعفر معالم النبوة في القرآن الكريم ص٦٥.



لا يوجد أي دليل في الكتب الإسلامية وأحاديث كبار علماء المسلمين يدل على وقوع التغيير والتحريف والتبديل في الإنجيل والتوراة[1].

ألفت النظر إلى عدة نقاط مثيرة للتأمل:

أ) هناك بعض الآيات تدل على وقوع التحريف في اللفظ والمعنى، واستنبط بعض المسلمين في صدر الإسلام كابن عباس الذي تطرقنا إلى قوله، والقسم الأعظم من المفسرين، بأن معنى التحريف المقصود هو التحريف المطلقُ وسنشير فيما يلي إلى بعض من هؤلاء.

يكتب الطبرسي مفسراً يحرفون «الكلم عن مواضعه»: أي يبدلون كلمات الله وأحكامه عن مواضعها[2].

يقول فخر الرازي مفسراً نفس الآية: هذه الآية تثبت أن أهل الكتاب قاموا بالتحريف على مستويين، الأول التأويل، والثاني الحذف؛ قاموا بتأويل خاطئ لبعض الآيات كما حذفوا بعضاً منها[3].

أمّا عن عدم استبعاد التحريف على المستوى الثاني، أي الحذف فإنه يشير إلى تواطؤ واتفاق علماء اليهود[4].

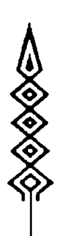
كما يتحدث الزمخشري في تفسيره عن تحريف كلام الوحي والحذف في التوراة، بالقول:

يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم؛ لأنّه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظاً) وتركوا نصيباً جزيلا وقسطاً وافياً (ما ذكروا به) من التوراة[5].

---

(١) معرفت، محمد هادي: مصونيت قران از تحريف، ص١٠٧.
(٢) مجمع البيان، ج١، ص٤٦٤؛ التفسير الكبير، ج١٠، ص١١٨.
(٣) تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٦٤.
(٤) التفسير الكبير، ج٨، ص١٠٧.
(٥) تفسير الكشاف، ج١، ص٦٠٠.





كما يفسر محمد رشيد رضا أنّ التحريف هو الزيادة أو النقصان[1]. أما المفسر المعاصر صاحب الميزان فيشير في مواقف عدة إلى أنّ التحريف الذي أصاب الإنجيل والتوراة يتمثل في الزيادة والنقصان، والقرآن يدل على هذا بوضوح:

التوراة الموجودة عندهم اليوم فيها شيء من التوراة الأصلية النازلة على موسى، وأمور حرفت وغيرت إما بالزيادة أو النقصان، أو تغيير اللفظ أو المحل أو غير ذلك، وهذا هو الذي يراه القرآن في أمر التوراة[2].

وبعض المعاصرين لهم نفس الرأي فيما يتعلق بتحريف الكتاب المقدس[3].

ب) تدعم بعض الروايات تلك الآيات الدالة على تحريف الكتاب المقدس. روي عن الصادق عليه السلام وتركوا كثيراً من شريعته وحرفوا كثيراً منها[4].

ج) هناك مجال لمناقشة دلالة الآيات والروايات التي تذهب إلى تحريف التوراة والإنجيل؛ بيد أن الدليل الحاسم على تحريف الكتب المقدسة هو مشكلة الكتب نفسها في المرجع والمفهوم. يشكك بعض الباحثين ودارسي التاريخ في انتساب هذين الكتابين إلى موسى وعيسى، وأثبتوا أن أكثر أقسامهما كتبت بأيدي أشخاص. أضف إلى هذا أنّهما

---

(١) هو إمالته وتنحيته عنها كان بزيادة بالمرة أو يضعوه في مكان غير مكانه من الكتاب أو المراد بمواضعه معانيه كانوا يفسّرونه بغير ما يدل عليه. تفسير المنار ج٥ ص١٤٠.

(٢) الميزان، ج٥، ص٣٤٢.

(٣) على سبيل المثال راجع إظهار الحق ج١ ص١٢٦ وفيه يشير الكاتب إلى مايزيد عن ١٠٠ مورد لتحريف الكتاب المقدس؛ الهدى إلى دين المصطفى، ميرزا حسين نوري فصل الخطاب ص٣٥؛ اسرائيليات القرآن محمد جواد مغنية ص١١٥ دار الجواد بيروت ١٤٠٠ هـ؛ صحيفة نور ص١٢٢ وج٢ ص٢٢٩ مجموعة آثار مرتضى مطهري ج٢ ص٢٩ و٣١ و٢٢٢؛ راهناشناسي، ص٢٨٠؛ شريعة در آئينه معرفت ص١٠٤، ١٠٥، ١٢٣، ٣١٨.

(٤) بحار الأنوار، ج١١، ص١٢.

يشتملان على اتهامات للأنبياء وتناقضات كمصارعة النبي يعقوب لله، شرب الخمر والأعمال المنافية للأخلاق و... فإن هذا لا يترك مجالاً للشك في تحريف الكتب.

د) هناك رأي مفاده أن القرآن لا يرفض تحريف الكتب المقدسة، لكن يعتبر التوراة والإنجيل بأنها كتب سيرة الأنبياء والحواريين وليست كُتُبَ الوحي أو كتباً سماوية فإن القرآن لا يشكك بأن التوراة والإنجيل ليست موجودة بين أيدى أحد كما لا يؤيد تحريفها. أما آيات التحريف فتدلُّ على تحريف المذهب والتفاسير الخاطئة لعلماء أهل الكتاب، أو كما يذهب المناطقة: صدق القضية السالبة بانتفاء الموضوع أي أن عدم دلالة القرآن على التحريف ليس بسبب أنها خالصة بل لعدم وجودها كما تقول الآية:

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]

ينسب الفخر الرازي هذا الرأي إلى المتكلمين.

يبدو أنه بالإمكان الجمع بين الرأيين بالشكل التالي: إن النظرية الأولى التي تذهب إلى أن القرآن يدل على التحريف اللفظي (النقصان والزيادة وتغيير الكلمات) للكتاب المقدس تقصد الكتاب المقدس في فترة الرسالة والعقود التي تسبقها (الترجمة والكتابة الناقصة المحرّفة). أما النظرية الثانية التي تدعي بأنه لا يوجد في القرآن دليل على التحريف، كما أنّ هناك بعض الآيات التي تدل على عدم التحريف، فإنها تقصد أصل التوراة والإنجيل حيث فقدت نسخها الرئيسية إبان ظهور المسيحية.

النتيجة واحدة والطرفان يشتركان فيها، وهي أن الكتاب المقدس الذي بين أيدينا هو محرف وغير صحيح.

وفي ضوء فقدان التوراة والإنجيل أو تحريفهما فإن العقل يحكم بتبعية

(١) آل عمران: ٩٣ والصافات: ١٥٧.

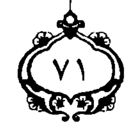
الدين الصحيح الخالص المتمثل في الإسلام مطالباً أتباع الأديان الأخرى ان يخضعوا لهذا الكتاب السماوي الأصيل، ولو كان من باب الضرورة.

ختم الكلام

هنا وبعد ما وصلنا إلى نهاية المطاف، نشير إلى نقطة مهمّة وهي أنّ نسخ الأديان الأخرى ووجوب اختيار الدين الإسلامي باعتباره الصراط المستقيم يستدعيان خروج أتباع الأديان الأخرى عن الصراط المستقيم. بيد أنّه حتى لو لم تسطع شمس الإسلام بنورها على قلوب البعض ممّن جهلوا وليس جحدوا أحقية الإسلام، فإنّ إصغاءهم لنداء قلوبهم أي العقل والفطرة، سوف يبعدهم عن العذاب ليتسنى لهم الاستفادة من المائدة السماوية الواسعة. لابد من البحث عن تفاصيل هذه القضية وأدلتها في مقام آخر[1].



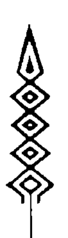
(١) راجع: قدران ملكي كند وكاوي در سويه هاي پلوراليزم، ص١١٠ ومقالة كافر مسلمان ومسلمان كافر مجلة كتاب نقد العدد الـ٤.





الفصل الثاني

القرآن
والمداراة المذهبية
والاجتماعية



تحدثنا مفصّلاً في الفصل الأخير عن مبادئ حصر الصراط المستقيم والدين الحق بالإسلام. يزعم أنصار التعددية كـ جون هيك أنّ مسألة حصر الدين تؤدي إلى عدم المداراة وعدم انتهاج الحياة السلمية مع أتباع الأديان الأخرى[1]. اعتبر فولتير المفكر الغربي الشهير بأنّ الإسلام هو دين العصبية وذلك في كتابه (التعصب أو محمد)[2] كما تحدث بعض المثقفين عن تعارض[3] أو تقييد[4] مبدأ المداراة والتسامح مع مبدأ حصر الصراط المستقيم بالإسلام.

يكفي إلقاء نظرة عابرة على القرآن والسنة النبوية لنكشف بطلان مثل هذه الأوهام ونبرهن على المداراة والتعايش السلمي للدين الإسلامي مع أتباع الأديان الأخرى.

في ما يلي سندرس بعض الآيات وفقاً لموضوع الكتاب.

١. لا إكراه في اعتناق الإسلام

الإكراه في اعتناق دين ما أحد أسباب ظهور العنف، وهو يزعزع أركان

---

(١) الدكتور محمد لكنهاوزن: پلوراليزم، مجلة معرفت عدد ٢٢ ص٢٠.
(٢) يقال إن فولتير اتجه إلى الإسلام بعد دراسات أكثر واعترف بارتكابه أخطاء حول الإسلام. راجع الدكتور جواد حديدي اسلام از نظر ولتر.
(٣) سروش عبدالكريم: مجلة كيان عدد ٣٧ وعدد ٢٨.
(٤) مجتهد شبستري، محمد مجلة كيان عدد ٢٨ ص١١.ومحمد اركون مجلة كيان عدد ٢٧، ص١٦.



التعايش السلمي بين أتباع مختلف الأديان لأنهم قد يشكلون النسيج الاجتماعي في مجتمع ما حيث تحافظ كل فرقة على المبادئ والتعاليم الدينية الخاصة بها، وتتمتع جنباً إلى جنب الفرق الأخرى بحياة آمنة.

ما يعرّض التعايش السلمي والمداراة بين الفرق الدينية لتهديد خطير هو وجود نظرية الإرغام والإكراه في المنظومة المعرفية لدين ما حيث تلزم الفرق كلها بإتباع دين خاص. لأنّه لو امتلك دين يتبنى هذه النظرية القوة والسيطرة فإنه سوف يرغم أتباع الأديان الأخرى على ترك دينهم واختيار دين خاص، وبعكس ذلك سيتعرّض التعايش السلمي الاجتماعي لأتباع الأديان الأخرى إلى مشاكل حادة، لا بل سوف تصبح حياتهم الشخصية وثرواتهم مهدّدةً، وقد سجّل التاريخ الكثير من هذه الأعمال[1].

إن الإسلام يدعو كل الناس ومختلف الفرق إلى اعتناقه، ويرى إنْ كان رفضه يأتي نتيجة للعناد والإنكار، فهذا العمل يلحق بالرافضين العذاب في الآخرة. لكنّه يفرّق بين حساب الناس في الدنيا وفي الآخرة، أي أن القرآن يدعو بادي ذي بدء جميع الناس إلى اعتناق الإسلام، كما بذل النبي كل جهوده في هذا السبيل. ومع هذا فإنه لا يرغم الناس على اختيار الإسلام، ويذكر أن رفض الإسلام لا ينزل العذاب ويسبب المعاناة في هذه الدنيا، لكن الناس يتحملون مسؤولية ما قاموا به في الآخرة. يقول القرآن:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[2]

---

(١) يقول المفكر الغربي ميشو في هذا الصدد عندما فتح المسلمون بيت المقدس لم يلحقوا بالمسيحيين الأذى لكن حدث العكس عندما فتح النصارى هذه المدينة فإنهم قاموا بقتل المسلمين بأبشع الصور كما أحرق اليهود عندما جاؤوا إلى هناك بوحشية. نقلا عن غوستاف لربون تمدن اسلام وعرب، ترجمه سيد هاشم حسيني، ج١، ص١٤١ ـ ١٤٦.

(٢) الاحقاف: ٣٥ ـ ٣٦.



فيما يلي نشير إلى بعض الآيات التي ترفض الإكراه والإرغام في اعتناق الإسلام.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[1]

كتب المفسرون في أسباب نزول الآية: رفض بعض أبناء النصارى الذين آمنوا بالإسلام اعتناق الإسلام. فبعدما أحس آباؤهم بخيبة أمل جراء عدم إيمان أبنائهم بالطرق السلمية طالبوا النبي كي يرغمهم بقبول الإسلام عبر مبدأ الإلزام في الحكم فنزلت هذه الآية لتنفي ذلك المبدأ:

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[2]

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3]

في البداية يؤكد الخالق من خلال تلك الآيتين على الهدف الرئيس لخلق الكون المتمثل في هداية الناس إلى الصراط المستقيم ثم يذكر بان هذه الهداية لا تتم بالإكراه وللجميع الحرية في اختيار الكفر أو الإيمان لهذا يشدد القرآن على هذا الموضوع مراراً وكراراً ويعبر عنها بعبارات مختلفة منها:

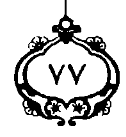
﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[4]

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾[5]

﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[6]

تقول الآيات السابقة إن وظيفة النبي هي التبليغ وإيصال الرسالة الإلهية

(١) البقرة: ٢٥٦.
(٢) الكهف: ٢٩.
(٣) الانسان: ٣.
(٤) ال عمران: ٢٠.
(٥) قاف: ٤٥.
(٦) الغاشية: ٢١ ـ ٢٢.



إلى الناس، وتصرح بأن هذا لابد أن يتم عند امتلاك الناس الحرية والبصيرة والبرهان في الاختيار وأن استخدام العنف لا يجدي نفعاً.

هذا القول لا يختص بالإسلام فقط بل إنه كان في الأديان السابقة كما يخاطب النبي نوح قومه قائلا:

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[1]

يقول الشهيد مرتضى مطهري في هذا المجال:

هناك الكثير من الآيات في القرآن تؤكد بأنه ينبغي أن يصلح الدين بالدعوة وليس بالإرغام. هذا يؤيد أن الإسلام لا يريد أن يقول للناس وبالإكراه إما أن تصبح مسلماً وإما تقتل، كما توضح الآيات بشكل ما مفهوم الجهاد[2].

٢. مشروع الحوار المنطقي مع الأديان الأخرى

إن فتح منافذ الحوار والنقاش المنطقي يشكل إحدى الركائز لنشر التفاهم وفكرة التسامح والتعايش بين الفرق والمدارس الفكرية المختلفة في المجتمع. اهتم دين الإسلام المقدس منذ البداية بالحوار وطالب نبيه بان يضع الحوار أساسا للتبليغ وعرض الدين، وأن يستخدم المنطق في دعوته، كما أن الحوار يكتسب أهمية ومكانة هامة بحيث إنّ لفظة الحوار والقول وما اشتق منهما تأتي بعد لفظة الله[3] في القرآن.

يطالب القرآن النبي بأن يضع الحوار والمنطق والحكمة والجدل الأحسن أساسا للتبليغ وعرض الدين، سواء كان طرفه المعارضون أم المسلمون.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

---

(١) هود: ٢٨.

(٢) مطهري مرتضى: جهاد ﻭ ص٣٣. انتشارات صدرا.

(٣) راجع بازركان عبدالعلي: آزادي در قرآن، ص٦١.



﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]

هاتان الآيتان الهامتان تؤكدان أن تبليغ الإسلام يتم عبر البرهان والخطابة والجدل الأحسن وتقولان لنبي الإسلام: عليك أن لا تتجاوز قاعدة الجدل الأحسن حتى عندما تناقش أتباع الأديان الأخرى. يشير المفسرون في تفسيرهم الجدل الأحسن، إلى إجراء الحوار على أساس الصداقة والليونة في الكلام والابتعاد عن العنف والإهانة[2]. كما يستند مطهري إلى تلك الآيات باعتبارها دليلا آخرا لرفض الإكراه في اختيار الدين في الإسلام[3].

الدعوة إلى القواسم المشتركة

قلنا إن الإسلام عندما يفتح باب الحوار ويناقش الأديان الأخرى يريد الإتيان بأدلة تثبت أحقيته لكي يتسنى لأتباع الأديان الأخرى أن يؤمنوا بالإسلام ويسيروا على الصراط المستقيم بوعي. إن القرآن لا يدعم النظرية الشهيرة القائلة: كلّ شيء أو لاشي. فهو لا يقول بأنّ الحوار إذا لم يؤدّ إلى نتيجة ملموسة فلابد من غلق هذا الباب واللجوء إلى طرق أخرى، بل إنه يشدّد على ضرورة استمرار الحوار بين الأديان، فإذا لم نحصل على نتيجة حاسمة، فسوف نحصل عليها في المستقبل. كما تطالب الآية في صدرها النبي أن يتحدث عن الوشائج الدينية التي تربط المسلمين بأهل الكتاب المتمثلة بأصل التوحيد وإيمان المسلمين بكتبهم السماوية لكي تخلق أرضية للتفاهم والمداراة بين أتباع الأديان.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[4]

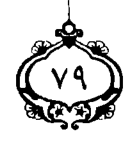
---

(1) العنكبوت: ٤٦.

(2) تفسير الميزان ج١٦، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(3) مطهري مرتضى: المصدر نفسه.

(4) العنكبوت: ٤٦.



وفي آية أخرى يدعو الله إلى الإلهيات المشتركة، ويحذر من امتزاج التوحيد باعتباره جوهر الأديان السماوية بمرض الشرك.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1]

تطالب الآية أهل الكتاب أن يجتمعوا تحت مظلة سماوية واحدة ومشتركة متمثلة بأصل التوحيد وأن يستمروا بالتعايش السلمي مع المسلمين.

٣. رفض استغلال الناس واستعبادهم

إن المساواة في حقوق الأفراد في المجتمع وعدم استعباد الضعفاء من قبل الأقوياء والأثرياء، يشكّلان أحد مكونات المجتمع المثالي والمدينة الفاضلة، أو كما يقال المجتمع المدني؛ بعبارة أخرى، لا بد من إزالة الأرضية التي تمهّد للاستغلال الذي يمارسه الفرد والحكومة في المجتمع البشري إزالة كاملة لتحل محلها الحرية والمساواة في الحقوق.

يشير القرآن إلى هذه النقطة الحساسة ويرفض بشدّة إتّباع الأنبياء لأساليب العنف في دعوة الناس إلى طاعة الله، فهناك آية تقول إن أحد أهداف الأنبياء هو تحرير الناس من عبودية الطاغوت.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]

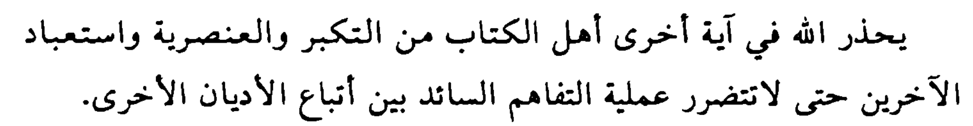
يعتبر الله في الآية التي تأتي لاحقاً أن أحد واجبات نبي الإسلام هو تحرير الناس من الأغلال التي تفرضها طبقة خاصة.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[3]

---

(١) آل عمران: ٦٤.
(٢) آل عمران: ٧٩.
(٣) الأعراف: ١٥٧.





يحذر الله في آية أخرى أهل الكتاب من التكبر والعنصرية واستعباد الآخرين حتى لاتتضرر عملية التفاهم السائد بين أتباع الأديان الأخرى.

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١)

يؤكد الإمام علي عليه السلام أن أحد أهداف بعثة نبي الإسلام يتمثّل في تحرير الناس من استغلال وعبادة بعضهم البعض، إلى عبادة الله الواحد فقط حيث يقول:

فان الله بعث محمداً ليخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته(٢).

٤. الدعوة إلى المداراة ومعاملة الكفار بالحسنى

قد يستنبط أحد أن دائرة تعايش الإسلام مع المعارضين تخصّ أتباع الأديان السماوية وبالذات مع اليهود والنصارى، أي أهل الكتاب، ويرفض (الإسلام) التعايش مع الكفار والمشركين، والقرآن يتّخذ المواجهة وعدم المداراة عند التعامل معهم. لكن لو تأملنا في مجمل الآيات التي تدل على كيفية مواجهة الكفار فسوف يزول هذا التوهم.

إن التأمّل في مجمل الآيات التي تدعو إلى الجهاد ومواجهة الكفار والمشركين يبيّن لنا أن مواجهتهم للإسلام هي السبب في تصدي الإسلام لهم(٣). فلو اكتفى الكفار بعقائدهم ولم يتخذوا موقف المواجهة والقتال مع المسلمين سبيلاً لما كان القرآن أمر بمواجهتهم والجهاد ضدّهم بل كان يدعو النبي إلى المداراة والتعايش معهم بسلام.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٤)

---

(١) آل عمران: ٦٤.
(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٥٤.
(٣) راجع: الحج: ٤٠ والبقرة: ٩٠ والتوبة: ١٧. للمزيد راجع: مرتضى مطهري: جهاد.
(٤) الأنفال: ٦١.



﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(١)

إنّ الله لم يخرج حتى المنافقين من دائرة المداراة ولم يأمر بقتالهم، ففي الآية التي يأمر فيها بقتال المنافقين. ينهى عن مقاتلة المنافقين الذين تربطهم عقود ومواثيق بالمسلمين أو من أتعبتهم أثقال الحرب ويريدون السلام.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ﴾(٢)

كما يأمر القرآن المسلم بالتعامل بالعدالة والقسط معهم وأن يعيشوا بسلام وينتهجوا التعايش السلمي.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٣)

لايعتبر الله في هذه الآية أن مجرد تبنّي الكفار عقيدة الكفر مدعاة لقتالهم والتصدّي لهمّ وطرح المداراة معهم، بل المعيار الذي يضعه هو إلحاقهم الأذى بالمسلمين لهذا يدعو إلى الإحسان بحق الكفار عندما لا يكونون في حالة حرب مع المسلمين.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٤)

تعد الآية الأخيرة أهم الأسس الرئيسية للتعاليم الأخلاقية والمداراة، فالله يصدر العفو في هذه الآية (بمعنى غض الطرف عن سيئاتهم وعدم

---

(١) النساء: ٩٠.
(٢) النساء: ٨٩ ـ ٩٠.
(٣) الممتحنة: ٨.
(٤) الأعراف: ١٩٩.



الأخذ بالثار ثم اختيار الاعتدال) عن الكفار الذين لم يؤمنوا بنبوة النبي ولم يلحقوا الأذى الجسدي والمعنوي بالنبي.

هنا يطرح السؤال التالي نفسه وهو هل كانت هذه الآية تختص بفترة الضعف التي كان عليها النبي؟ ولعلّ العفو الذي أصدره النبي عند فتح مكة عن جميع الكفار والمشركين[1] ممن كانوا قد ألحقوا أضراراً بالنبي من النفي والتآمر لقتله، يدحض تلك المزاعم ويبيّن خطلها.

هناك آية أخرى تنهى المسلمين عن سب الكفار وإهانة معبودهم حتى لاتخلق أرضية للنزاعات ويسب الكفار الشعائر والمقدسات الدينية.

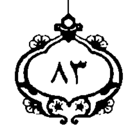
﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2].

أشرنا حتى الآن إلى بعض الآيات التي تتمحور حول مبدأ المداراة والتعايش السلمي مع المعارضين، وسنشير فيما يلي إلى أحاديث النبي والإمام علي عليه السلام نظراً إلى أهمية أحاديثهما باعتبارهما القرآن الناطق.



(١) خرج ١٣ من المشركين عن دائرة العفو الذي أصدره النبي حيث كانوا من شرالمشركين ومروجي الفتن ومرتكبي القتل والمرتدين ثم عفا النبي عن ٨ منهم لاحقاً أشهرهم وحشي ابن حرب قاتل حمزة وهند آكلة الكبد والمحرضة في غزوة أحد وقتل اربعة اشخاص منهم عبدالله بن خطل وسارة لارتدادهم عن الإسلام والحويرث وخادمة عبدالله بن الأخطل لتحريضهم المشركين بإنشادهم الأشعار ضد النبي وأثاروا فتناً عديدة. راجع: تاريخ ابن الأثير، ج٢، وسيرة ابن هشام، ج٢، وفروغ ابديت، ج٢، ص٣٤٤.

(٢) الأنعام: ١٠٨.





سيرة النبي ﷺ

١. مساواة الناس

كان النبي وباستلهام من آيات القرآن يعامل المعارضين والرافضين للدين معاملة ملؤها العطف والرحمة، فقد كان يعتبر كافة الناس أبناء آدم خلقهم الله من تراب. هذه النقطة لا تدل على مساواة الناس فحسب بل تدل على مبدأ الأخوة الإنسانية في الخلقة والانتساب إلى رب واحد وتمهد الأرضية لنشر مبادئ العطف والتسامح والمحبة القلبية التي تفوق مبدأ المداراة والتعايش السلمي. يقول النبي: أيّها الناس إنّ ربكم واحد وإنّ أباكم واحد كلكم من آدم وآدم من تراب[١].

إن النبي يعتبر مبدأ الإنسانية والإحسان إلى الآخرين هو المعيار لكسب الاحترام والتكريم الإلهي:

الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه انفعهم لهم[٢].

إن الخلق كلهم عيال الله فلا فرق بينهم، فلا فضل لأحد على آخر، وإنّ أفضلهم وأقربهم إلى الله أنفعهم للناس.

٢. الدفاع عن الأقليات الدينية

لقد أوصى النبي مرارًا المسلمين بالسلوك الحسن ومراعاة الإنصاف في

---

(١) تحف العقول، ص٢٩.
(٢) أصول الكافي ج٢، ص١٦٤.



التعامل مع غير المسلمين حيث يقول: من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه يوم القيامة[1].

٣. أذية الذمي كأذية النبي

«من أذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[2].

هذه الرواية تثبت بأنّ النبي يعتبر إلحاق الأذى بالذمي كالخصومة معه ويؤكد بأنه سيقوم في القيامة للدفاع عن المظلوم حتى لو كان يهودياً.

٤. احترام جنازة اليهودي

كان النبي جالساً برفقة جماعة فمرّ عليهم جماعة يحملون جنازة يهودي فقام النبي احتراماً له، قال الجماعة: هذه جنازة يهودي قال: النبي عندما ترون جنازة قوموا احتراماً لها[3].

٥. الميثاق الأول حول حرية العقيدة

لقد أبرم الإسلام معاهدات سلام مع المعارضين والرافضين، وهو ما يشكل مفخرة للإسلام، حيث أبرم النبي في فترة حكمه معاهدات مختلفة مفادها أنّ الحكومة الإسلامية تأخذ الخراج من أهل الكتاب وفي المقابل تلتزم باحترام الحقوق السياسية والاجتماعية والأمنية للأقليات الدينية. أول تلك المعاهدات هي معاهدة سلام أبرمها مع يهود المدينة. يرى البروفسور «هوستون اسميت»[4] أنّ هذه المعاهدات هي أول ميثاق لحرية العقيدة في تاريخ البشرية. تتضمن هذه المعاهدة المتطورة بنوداً متقدمة على زمنها بعدة قرون.

---

(١) نقلاً عن سبحاني، جعفر مباني حكومت اسلامي، ص٥٢٨ ـ ٥٢٩ ـ انتشارات توحيد قم.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، وراجع: صحيح البخاري ج١.
(٤) هوستون اسميت: المذاهب الانسانية.



نشير هنا إلى مضمون المعاهدة التي أبرمها الرسول ﷺ مع نصارى نجران، بموجب هذه المعاهدة:

يلتزم النبي أن يحافظ على أرواح أهل نجران وأموالهم وأراضيهم وعقائدهم ومعابدهم من أي أذى وأن لا تتم إهانتهم ولا تحتل أراضيهم، فما دام أنهم يلتزمون بهذا الميثاق فلا يصيبهم أي أذى[١].

❁ ❁ ❁

(١) نقلاً عن: سبحاني، جعفر: مباني حكومت اسلامي، ص٥٢٩.





سيرة الإمام علي عليه السلام ومواقفه

تعطينا سيرة حياة الإمام دروساً لمواجهة المعارضين مع أنها شهدت تعرجات كثيرة وأنه واجه المعارضين بشتى أنواعهم سواء في فترة الإبعاد عن الحكم أو في فترة استلام مقاليد الحكم. إن أكبر وأهم تلك القواعد هي العمل بمبدأ يفيد أن هناك أهم وهناك مهم والتضحية تتمّ على أساس ذلك، حيث غض الإمام الطرف عن حقوقه فيما يتعلق بالخلافة ليصون الإسلام ويحفظه من أي أذى وأهم من هذا أنه قام بمساعدة الخلفاء بينما كان يُتوقع أنّ الإمام سيرفع علم المعارضة السياسية ضدّ جهاز الخلافة والإصرار على استرجاع حقّه، أو اعتزال السياسة ويضع العصي في عجلة الخلافة.

إن سيرة الإمام المستنيرة تعطي دروساً لمن يشكلون الأقلية في الدولة الإسلامية ويعتبرون أنفسهم أصحاب حق، وهي سيرة زاخرة بالتعاون وتقديم المساعدة للحكومة الدينية بشكل واضح وشفاف.

لو أردنا الخوض في قضية التساهل والمداراة التي كان يبديه الإمام للمعارضين وأهل الكتاب فسوف يطول بنا الحديث. لكن سنكتفي بذكر عدة نقاط بصورة مقتضبة.

١. احترام كافة الناس وإظهار المحبة لهم



يأمر الإمام في جزء من أوامره التنفيذية مالك الاشتر باحترام القانون

وحقوق الإنسان وتنفيذ العدالة ويوصيه بأن يحب الناس ويعاملهم بالعطف ولا يستثني أحداً كافراً كان أم مسلماً ويقول:

أشعر قلبك الرحمة والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق[1].

٢. احترام الأقليات وقوانينهم

إن الاعتراف بحقوق الأديان الأخرى واحترامها يعتبر من مبادئ الإسلام القانونية. على سبيل المثال: إن الإسلام قد حرم الزواج من المحارم لكن لايحق للمسلم ان يتهم الأديان الأخرى كالمجوسية بارتكابها الزنا استنادا إلى قوانين الشريعة الإسلامية. يظهر مبدأ احترام الأديان الأخرى في سيرة حياة أئمة الشيعة بوضوح ويطردون من لا يتحلى بالاحترام.

من الأمثلة البارزة التي تثبت احترام الأقليات الدينية قول الإمام علي عليه السلام:

لو ثُنِيَتْ لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم[2].

٣. الاهتمام بالأقليات

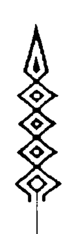
كانت مدينة الأنبار تتكون من المسلمين واليهود، وهي إحدى المدن التي كانت تخضع لحكم الإمام، فقام جيش معاوية بنهب المدينة وسرقوا مجوهرات امرأة يهودية. سمع الإمام بهذا الخبر فحزن كثيراً وقال:

---

(١) نهج البلاغة، رسالة ٥٣.

(٢) الشيخ مفيد الارشاد، ترجمة وشرح سيد هاشم رسولي محلاتي، انتشارات علمية اسلامية، ج١، ص٣٠، لكن هناك خلاف في حكمه الفقهي.





لو مات الانسان كمداً وحسرة ماكان عندي ملوماً[1].

٤. تخصيص رواتب لفقراء أهل الكتاب

رُوي أن الإمام التقى بشيخ كبير فسأل أصحابه عن ذلك الرجل، قالوا هو نصراني، فقال الإمام وهو غضبان:

انتم استفدتم منه في شبابه (أي أنه خدم هذه الأرض في شبابه كالآخرين) حتى وصل إلى هذا الحال، فهل من الصحيح أن تتركوه وشأنه؟! ثم أمر أن يدفعوا له راتباً من بيت المال[2].

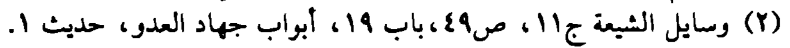
٥. توديع اليهودي

رافق يهودي الإمام في الطريق إلى الكوفة، ولمّا أصبحا على مقربة من الكوفة فصل اليهودي طريقه عن الإمام فتابعه الإمام، فسأل اليهودي الإمام: ألا تذهب إلى الكوفة؟ قال الإمام: نعم؛ قال اليهودي لماذا تتبعني؟ قال: كنت مرافقاً لي في السفر وأريد أن أودعك.

٦. التسامح والمداراة في مواجهة الخوارج

كان الخوارج من ضمن جيش الإمام في حرب صفين، وقد خرجوا على الإمام بعد قضية التحكيم وكوَّنوا معسكراً آخر فكفَّروا الإمام لقبوله التحكيم وقاموا بالعمل ضد الإمام. على سبيل المثال: كانوا يحضرون المسجد ليعارضوا الإمام بصورة مكشوفة، بل تجاوزوا هذا الحدّ حيث

(١) نهج البلاغة فيض الإسلام خطبة ٩٥ ان الامام خميني المؤسس الاول للحكومة الاسلامية أكد مراراً على ضرورة احترام الاقليات في تصريحات أدلى بها والمقابلات قال مشيرا إلى ذلك الحادث ان هذه الاقلية المذهبية التي عندما سرقت مجوهرات امراة يهودية قال الامام: لو مات الانسان كمدا وحسرة ماكان عندي ملوما. صحيفئ نور، ج٣، ص٨١.



(٢) وسايل الشيعة ج١١، ص٤٩، باب ١٩، أبواب جهاد العدو، حديث ١.



كانوا يهتفون بشعارات حادة أثناء الصلاة، وفي بعض الأحيان يشتمونه[1]. ومع هذا كان الإمام يعاملهم بالتسامح والمدارة ولا يواجههم بالعنف. ويدعو أصحابه إلى ضبط النفس والهدوء ويصلي على قتلاهم، وكان يسمح لهم بالحضور في المسجد مع أنهم يعملون ضده ويدفع لهم رواتبهم من بيت المال. كان دائم التأكيد على أصل المداراة ماداموا لم يرفعوا السلاح في وجه الحكومة الإسلامية «لانمنعكم مساجد الله إن تذكروا فيها اسمه لا نمنعكم من الفيء مادامت أيديكم مع أيدينا لانقاتلكم حتى تبدؤونا»[2].

عدم إقامة الصلاة في الكنيسة!

إنّ احترام حقوق الأقليات والعمل وفق مبدأ التسامح والمداراة كانا منهج الأئمة المعصومين وعدد من الخلفاء، ودليلنا هو رسالة الإمام السجاد عليه السلام في مجال الحقوق والمناظرات والحوارات التي دارت بين الأئمة والمعارضين.

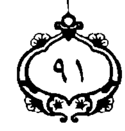
جاء في الكتب التاريخية أن أحد الخلفاء، في صدر الإسلام، حضر في الكنيسة عند الصلاة. أراد الخليفة أن يصلي خارج الكنيسة، وعلل هذا الموقف بأني أخاف بعد إقامة الصلاة في الكنيسة أن يحتل المسلمون هذا المكان للتبرك لأني أقمت الصلاة فيه[3].

---

(١) تنقل الكتب التاريخية أن ابن كوار، وهو من الخوارج، كان يقرأ هذه الآية عندما يصلي الامام" ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين "(الزمر٦٥) وكان يقصد ان الامام اصبح مشركاً وكافراً واحبطت اعماله لقبوله التحكيم. ويجيب الإمام ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم ٦٠) والتي تفيد بان يحقق وعوده وان يا رسول الله لا تحزن من كلامهم الباطل.

(٢) تاريخ الطبري ج٤، ص٥٣.

(٣) حسن الصفار: چند گونگي وآزادي در اسلام، ص٦٩.



الزعم بأن التسامح ناتج من ضعف الإسلام

يرى بعض الفلاسفة الغربيين مثل جان هيك[1] تعارضاً بين مبدأ التسامح، والرؤية الحصرية للدين، ويتبعه في ذلك عدد من المثقفين[2]. إنّهم يرون أنّ تلك الرؤية ناتجة من الضرورة وتحسين الصورة والترحم[3]. كما يقبل المعتدلون منهم بوجود التسامح ويؤطرونه بـ عبارة إلى حد ما[4].

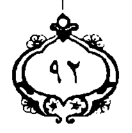
لست بصدد الإجابة عن مزاعمهم البعيدة عن الواقع، لكن أطالبهم أن ينظروا إلى الأسئلة التالية بعيون ثاقبة: هل دعوة القرآن بالتعامل مع الكفار وأهل الكتاب بالإحسان هي مجرد تحسين الصورة؟ وهل عندما يدعي النبي بأنه يدافع عن حقوق الأقليات في يوم القيامة ويحترم جنازة اليهودي يهدف إلى تحقيق المصلحة فقط؟ هل وصية الإمام إلى مالك الاشتر بمحبة كلّ إنسان كافراً كان أم مسلماً تدخل ضمن دائرة التظاهر؟ هل يصنف تعبير الإمام عن الأسف الشديد والقلبي عندما تم الاعتداء على امرأة يهودية مجرد تسويغات الحكام؟ كيف نفسّر توديع الإمام لليهودي؟ وأخيراً ألا تقتضي مبادئ السياسة والحكومة الدنيوية ان يتم القضاء على الخوارج وألاّ يسمح لهم بممارسة النشاط السياسي وأن تقطع رواتبهم، وعشرات الأسئلة التي تأتي في هذا المجال؟ كل هذه الأسئلة يتم إزالتها بدراسة الكتب الإلهية والأحاديث وسيرة النبي والأئمة.

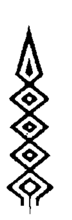
اعترافات المفكرين الغربيين

نشير هنا إلى اعترافات عدد من المفكرين الغربيين في هذا السياق.

يقول ويل دورانت إنّ الإسلام وخلال ٥ قرون كان رائداً في العالم

(١) الدكتور محمد لكنهاوزن: پلوراليسم، مجلة معرفت عدد ٢٢، ص٢٠.
(٢) راجع مجلة كيان عدد٢٨، ص١٠.
(٣) سروش عبدالكريم، كيان عدد٣٧، ص٦١.
(٤) شبستري، مجتهد: كيان عدد٢٨، ص١١.





قدرة ونظماً وبسطاً للحكم ونزاهة في الأخلاق والسلوك وتحسيناً لمستوى المعيشة، لقد وضع القوانين الإنسانية العادلة والتسامح الديني ونشر الأدب والطب والفلسفة[1].

ويقول في موقف آخر إنّ النبي كان يذم أتباع الدين المسيحي، إلاّ أنّه كان يحسن الظنّ بهم، وكان يريد إقامة علاقات حسنة معهم. وحتى بعد المواجهة مع أتباع الدين اليهودي، اتخذ طريق المداراة مع أهل الكتاب[2].

يقول غوستاف لوبون المؤرخ الشهير:

لم يتقدم القرآن بقوة السيف لان من عادات العرب أن يتركوا الحرية للناس بأن يؤمنوا بأي دين عندما يفتحون بلداً ما.

أما السبب في أن النصارى كانوا يتركون دينهم ويعتنقون الإسلام ويختارون العربية لغة لهم فهو أن العرب كانوا يعاملونهم بالعدل، حيث لم يعاملهم حكامهم من قبل[3].

يقول رابرتسون: كان المسلمون وحدهم يمتلكون التسامح في التعامل مع الأديان الأخرى وذلك عائد إلى عقيدتهم الدينية الراسخة[4].

يرى ميشو: عندما فتح المسلمون بيت المقدس (في عهد الخليفة الثاني) لم يلحقوا بالنصارى الأذى. أمّا عندما فتح النصارى تلك المدينة حدث العكس حيث ارتكبوا مجازر بحق المسلمين، كذلك الحال مع اليهود حيث أحرقوا الجميع... علينا الاعتراف بأن الشعوب المسيحية

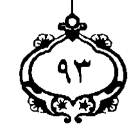
---

(١) ويل دورانت: تاريخ الحضارة

(٢) المصدر نفسه.

(٣) غوستاف لوبون: تمدن اسلام وعرب، ترجمه سيد هاشم حسيني، ج١، صص١٤١ ـ ١٤٦، كتابفروشي اسلامية.

(٤) المصدر نفسه.



تعلمت السلام والاحترام المتبادل من المسلمين، سلام يدل على الرحمة والمروءة والإنسانية[1].

يذهب هنري دي كاستري الكاتب الفرنسي إلى أنّ اليهود بقوا على الأرض بفضل مدارة الدول الإسلامية معهم:

بقى اليهود على الأرض بفضل الدول الإسلامية حيث أنقذتهم من أيادي النصارى المتعطشين للدماء في القرون الوسطى فلو كان للنصارى القدرة وحكموا العالم لكانوا قضوا على اليهود[2].

يقول آدام متز: يبدو أنّ الكنيسة والصومعة تعيشان خارج الحكومة الإسلامية، ويبدو أنهم كانوا جزءاً من أراضٍ أخرى وهذا ما يؤدي إلى خلق مناخ من التسامح لم تعرفه أوروبا في العصور الوسطى[3].

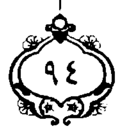
إنّ هذه الاعترافات كثيرة لا يتسع لنا المجال للإتيان بها جميعاً، فنكتفي بهذا القدر وندعو القارئ الباحث إلى دراسة الكتب التاريخية.



(١) نفس المصدر.

(٢) اسلام وحقوق طبيعي انسان، ص٤٩. يذكر أن الكنيسة تعتبر اليهود قتلة المسيح وتلعنهم في مراسم العشاء الرباني بصفتهم خونة ثم الغيت هذه المراسم عام ١٩٦٠ بوساطة المجلس الفاتيكاني الثاني.

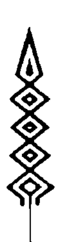
(٣) حسن الصفار: چند گونگي وآزادي در اسلام، ترجمه حميد رضا آژير، ص٦٨، نشر بقيع.





الفصل الثالث

التوهم بدلالة القرآن على التعددية



اتضح في الفصل الأول أنّ القرآن الكريم يبطل التعددية الدينية في الكثير من الآيات وتحت عناوين مختلفة، ويدرك القارئ العادل، وبتأمله في مجمل الآيات، أنّ القرآن يعارض التعددية الدينية. بيد أنّ في القرآن آيات تتحدث عن كثرة الشرائع وتصديق إيمان أهل الكتاب وتصفهم بالصالحين وتعدهم بالثواب وتنفي عذابهم.

لقد تجاهل أنصار التعددية، عن وعي أو جهل، الآيات التي تبطل التعددية بصراحة ـ تحدثنا عنها فيما سبق ـ بهدف خلع المشروعية القرآنية على نظرياتهم، وقاموا بتفسيرها خدمة لمزاعمهم، وقد ارتكبوا أخطاءً فادحة، ذلك لأنهم تجاهلوا مبادئ وأساليب تفسير القرآن. نشير إلى بعضها[1]:

١. الاهتمام بالفحوى وأسباب النزول وبداية الآيات ونهايتها.

يعتمد دعاة التعددية، في تفاسيرهم، على الدلالة الظاهرية للآية، ويستندون إلى جزء من الآية، في بعض الأحيان، ولا يأخذون بعين الاعتبار الآية السابقة أو اللاحقة.

---

(١) للمزيد راجع مطهري، مرتضى: آشنايي با قرآن، ج١، ص٣ ـ ٤٣، وجوادي املي: تفسير موضوعي، ج١، مقدمة ودرس اول ودوم.



٢. الاهتمام بكل القرآن

بما أن القرآن هو كتاب سماوي أنزله الله تعالى،[١] ورغم أنه أنزل بصورة تدريجية طوال ٢٣ عاماً إلاّ أنّه يتمتع بنظم خاص، أو كما يقول القرآن لا تجد فيه تعارضاً أو تهافتاً[٢].

لهذا يتوجّب علينا الاهتمام بكل الآيات القرآنية (وعددها يزيد على ٦ آلاف) من حيث الآيات الخاصة والمطلقة والمقيدة والنسخ و... عندما تلتبس آية عندنا علينا أن نراجع الآيات الأخرى لإزالة هذا الالتباس. بعبارة أخرى: علينا أن نبحث عن تفسير القرآن في القرآن نفسه لأنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً.

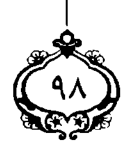
على سبيل المثال: إنّ القرآن لم يحرم الخمر في البداية، بل تحدث عن تعارضه مع الرزق الذي يأتي بطرق حسنة[٣]، ثم أكد على أن إثمه يفوق منافعه[٤]، وفي الخطوة الثالثة حرمه عند الصلاة، وفي المرحلة الأخيرة أصدر حكمه المطلق بتحريمه[٥].

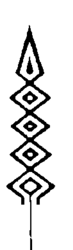
٣. الاهتمام بشارحي القرآن الحقيقيين

الأصل الثالث يفيد أنّه لو حصل التباس عند تفسير آية ما، علينا أن نراجع تفسير الشارحين والمفسرين الحقيقيين لكلام الله، أي الروايات العلوية لأنّ القرآن يشتمل على الآيات المتشابهة وله، بطون وتوجهات مختلفة[٦] والقرآن يؤكد أنّ الوصول إلى عمق وفحوى تلك الآيات يتم بوساطة المطهّرين ومصداقهم الأئمة ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[٧].

---

(١) ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).
(٢) ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٢٨).
(٣) النحل: ٦٧.
(٤) البقرة: ٢١٩.
(٥) المائدة: ٩٠.
(٦) آل عمران: ٧.
(٧) الواقعة: ٧٨.





رأينا فيما مضى أن دعاة التعددية حاولوا أن يدخلوا نظريتهم في ساحة الشريعة لتقديم أدلة وشواهد، واستندوا إلى بعض الآيات في الخطوة الأولى. صحيح أنهم استندوا إلى الدين لكنهم لم يلتزموا بمبادئ البحث سيَّما في تفسير القرآن حيث أنهم لم يشاهدوا أو تجاهلوا أصول وأساليب الموضوعات الهرمنوطيقية والتفسيرية ـ أشرنا إليها ـ، في هذا الفصل سنضع أدلتهم تحت مجهر التحليل ثم نخضعها للنقد.

الدليل الأول: التسليم المطلق أمام الله

إنّ جوهر ومغزى نظرية التسليم، عند أنصار التعددية، هما أنّ حقيقة الدين والإسلام هي أنّ الله يطالب الإنسان الإيمان بالعدالة والتسليم والخضوع لله، ولا يحدث تغيرًا في فحوى التسليم سواء تجلى في الإسلام أو اليهودية أو المسيحية.

يذهب دعاة التعددية إلى أن للإسلام معنًى عامّاً من منظور القرآن، وهو يعني التسليم المطلق أمام الله، ويشمل كافة الأديان سيَّما أديان أهل الكتاب. إنّ ضرورة تحقيق هذه النظرية هي أن تكون مسلماً لا يستلزم أن تكون ضمن أمّة الإسلام، بل هذه القاعدة تشمل أتباع الأديان الأخرى، واستشهدوا بهذه الآيات.

إنّ إبراهيم عليه السلام طلب الإسلام الحقيقي لأمته وذريته، وأن تكون أمته مسلمة.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾(١).

وموسى عليه السلام يصف قومه بالمسلمين:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٢).

---

(١) البقرة: ١٢٨.
(٢) يونس: ٨٤.



قبل عقود كتب المهندس مهدي بازركان، في إشارة إلى تلك الآيات قائلاً: إن القرآن يصف الأتباع الصالحين للأنبياء بالمسلمين، تكراراً، على عكس ما ندعي بأننا نحن المسلمون فقط، فكيف يعتبر الله آخر الأديان ديناً بينما يؤيد كافة الأنبياء وكتبهم ويقدسها[1]؟!

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2].

تعد تلك الآية دليلاً واضحاً على رفض التعددية، لكن عدداً من أنصار التعددية من يريدون أن يأتوا بالكثير من الأدلة القرآنية لإثبات ادعائهم قدموا تفاسير مؤيدة لنظريتهم واعتبروا الإسلام هو التسليم المطلق، أو على حد قولهم، كما يقال، الإسلام الحقيقي كما يكتب الدكتور سروش: لو نظرتم إلى تفسير الميزان ستشاهدون أنه يفسر الإسلام بمعنى الإسلام الحقيقي الذي تحدثت عنه ويؤكد أنّ القصد هو حقيقة التسليم أمام الله[3] ثم يأتي بحديث للإمام علي عليه السلام ليؤيد تفسيره للإسلام وهو التسليم[4]. وسنتحدث بعدئذ حول صحة انتساب هذا الرأي إلى العلامة طباطبائي، أو خطإه.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[5].

فسر البعض أن الإسلام في تلك الآية والآية التي سبقتها، هو التسليم المطلق، وحاول أن يستنتج أحقية كافة الأديان. يكتب خرمشاهي في هذا المجال، مشيراً إلى التفسير الذي قدمه بعض المفسرين بأن الإسلام هو التسليم المطلق:

---

(١) بازركان مهدي: دين وتمدن، ص٥٢. يذكر أنه يستشهد بالآيات التالية لاثبات ادعائه سورة الذاريات ٢٦ وسورة يونس ٧٢ وآل عمران ١٤٥ والنحل ٤٥ وراجع قران ومسيحيان.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) سروش عبدالكريم، فربه تر از ايدئولوژي، ص٣٣٦. يذكر أن تفسير العلامة لكلمة الإسلام هو في ذيل آية ١٩ سورة البقرة.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٣٧.

(٥) آل عمران: ١٩.





يعتبر الكثير من المفسرين أنّ الإسلام ليس الإسلام الذي أتى به النبي محمد ﷺ بل هو الإسلام الإبراهيمي أي التوحيد والتسليم أمام الله. منهم الشيخ الطوسي والزمخشري والطبرسي في جوامع الجامع، والبيضاوي ومن المعاصرين جمال الدين ألقاسمي ومحمد جواد مغنية[١].

نقد ورأي

هناك عدة نقاط تلفت النظر، عند تقييمنا لدليل أنصار التعددية الآنف الذكر:

١. رؤيتهم الحصرية في تفسير الإسلام

لا يوجد أدنى شك بأن الإسلام يعني لغويًّا التسليم والخضوع، غير أنّ النقطة الرئيسة هي التركيز على معناه القرآني، فالتأمل في الآيات التي ورد فيها الإسلام والكلمات المرادفة له، يؤدي إلى استنتاج ثلاثة معانٍ:

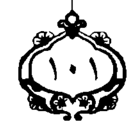
أ) المعنى التكويني:

المعنى الأول للإسلام في القرآن هو التسليم بمعنى الانقياد والانصياع الجبري والتكويني للموجودات للأوامر الإلهية:

﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٢]

إنّ إسلام من في السموات والأرض يعني الانصياع والإطاعة التكوينية من للأوامر الإلهية، والدليل هو قيد «كرهاً»؛ لأنّ التسليم بالجبر والكره يعارض معنى الخضوع.

(١) خرمشاهي، بهاء الدين: قرآن پژوهي ص٥٤٢ وسروش عبدالكريم؛ صراطهاي مستقيم، ص٣٢، ثقفي سيد محمد: صحيفة همشهري، ص٩.
(٢) آل عمران: ٨٣.



ب) التسليم والخضوع أمام الله

هناك آيات كثيرة تستخدم الإسلام والكلمات المرادفة له بمعنى التسليم والخضوع أمام الله، وهذا ما يشكل جوهر الأديان السماوية. أمّا عندما يستخدم الأنبياء قبل النبي محمد ﷺ لفظة الإسلام فكانوا يقصدون الخضوع والتسليم أمام الخالق.

ج) دين الإسلام الخاص

إنّ القصد من الإسلام الوارد في عدة آيات ليس الأديان السماوية والتسليم أمام الله، بل القصد هو شريعة النبي محمد ﷺ.

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[(١)]

نزلت هذه الآية في غدير خم، عندما عين النبي خليفته، فإنّ الآية تعتبر دين النبي محمد ﷺ دين الإسلام.

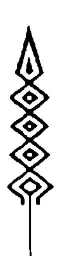
﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾[(٢)]

هذه الآية تخاطب اليهود والنصارى (الذين يعترف أنصار التعددية بأنهم أصحاب الإسلام الحقيقي) والمشركين وتقول أسلموا حتى تفتح أبواب الهداية لكم. من الواضح أنّ الإسلام في هذه الآية لا يعني التسليم إلى الله فحسب لأنهم مسلمون كما يدعون ويشاطرهم الرأي أنصار التعددية، بل القصد هو اعتناق دين الإسلام. أضف إلى هذا، هناك العشرات من الآيات تقصد الشريعة الإسلامية عندما تستخدم الإسلام.

إنّ كثرة معاني الإسلام واختلافها في القرآن لها دلالة واضحة وهي ينبغي ان لا نكون أصحاب النظرة الحصرية في تفسيره وفق الأصول والقواعد اللغوية والتفسيرية، وبالتالي نفسر ونستخدم الإسلام في كافة

(١) المائدة: ٣.
(٢) آل عمران: ٢٠.





الموارد بمعني التسليم المحض أو دين خاص، بل علينا أن ندقق في معنى بداية الآية ونهايتها والقرائن الأخرى لكن مع الأسف يتم تجاهل هذه النقطة. ويتجه أنصار التعددية نحو الحصر ويكتفون بالاستناد إلى جزء من الآية أو آية ما، دون الأخذ بالآيات السابقة والقرائن الأخرى. وبدورنا سنتطرق إليها لاحقاً.

٢. إنّ إسلام الأمم السالفة يوافق وحدة الصراط المستقيم

عندما يعتبر القرآن الأمم السابقة مسلمة ولعدة مرات، فهذا يعني أنهم كانوا على حق في زمنهم، أي أنّ جوهر الدين هو التسليم والخضوع أمام الله يتجلى في الأمم السابقة بتصديقهم الأنبياء فإنّ للدين حقيقة واحدة من هذا المنظور[1].

بناءً على ما تقدّم لا توجد أدنى ريبة في أن القرآن يعتبر الأمم الغابرة على دين الإسلام، لكن المهمّ هو بقاء واستمرارية أحقيتها عند ظهور الإسلام. إنّ الآيات التي يتمسك بها بازركان لا تثبت هذا الادعاء. فضلا عن هذا فإن الآيات التي وردت في الفصل السابق تثبت خلاف هذا. أمّا أنّ القرآن يثني على أهل الكتاب بعد ظهور الإسلام، ويعتبرهم أصحاب حق فنترك هذا البحث إلى الصفحات القادمة.

٣. كلمة «الإسلام» المعرّفة بـ«أل» التعريف

إنّ آية ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ التي يستند إليها الدكتور سروش لإثبا ت التعددية، تدلُّ على خلاف ذلك؛ لأنّها كما أسلفنا، تدل بوضوح على إبطال التعددية لأنّ «أل» في الإسلام هي «أل» التعريف وتُفيد بأنّ الإسلام هو دين الإسلام ثم نستنتج من ظاهر الآية أنّ الإسلام ليس التسليم

(١) الميزان: ج٣٠.



المطلق، بل هو دين خاص يتمثل في شريعة النبي محمد ﷺ التي تُعرف بالإسلام وأنّ سياق الآية يدل على الحصر[1].

إنّ الدكتور سروش يعتبر عبارة صراط مستقيم دليلاً على كثرة الطرق المستقيمة لأنها ذكرت بدون «أل» التعريف لكن في الآيات القرآنية السابقة التي يتجلى فيها الإسلام بدين خاص وذكر «أل» يدعم المعني الظاهري لتلك الآية، فإنه لا يأخذ بعين الاعتبار «أل» التعريف عن قصد أو جهل، بينما يتمسك بعدم ذكر أل في صراط مستقيم لإثبات ادعائه.

٤. عدم أخذ الآيات السابقة بنظر الاعتبار

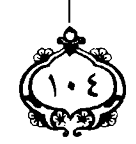
عند إلقائنا نظرة عابرة على الآيات السابقة يظهر ادعاؤنا بحصر الإسلام في الآية بدين محمد ﷺ. فإنها تتحدث عن اخذ الله ميثاق الأمم الغابرة بأن يتبعوا الأنبياء اللاحقين، ومنهم النبي محمد ﷺ فهناك يوجه اللوم لأهل الكتاب بعبارات حادة لرفضهم نبوة محمد ﷺ[2] ويصفهم بالفاسقين. وفي ضوء سياق الآيات وانسجامها مع بعضها يصبح من الضروري أن يتمثل الإسلام في شريعة محمد ﷺ لأنّه لو فُسّر الإسلام في الآية بمفهومه العام وشمل الأديان الأخرى، لحصل تناقض مع الآيات الأخرى «وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا».

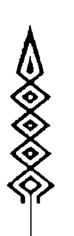
٥. عدم أخذ الآيات اللاحقة بنظر الاعتبار

إنّ أنصار التعددية عندما قاموا باختيار جزء من الآية وحذفوا العبارات

(١) يقول الاستاذ جعفري حول هذه الآية إن الدين عند الله الإسلام ولا يقول إسلام بشكل نكرة حتى يفيد الحصر فإن للإسلام معنى خاصاً يتجلى في دين محمد، مجله نقد ونظر، عدد ٣ ـ ٤، ص٣٢٧.

(٢) ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.





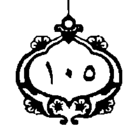
التي تليها، وتجاهلوا الآيات اللاحقة[1] حرّفوا كلام الله؛ ذلك لأن الآيات السابقة توبّخ أهل الكتاب كسابقاتها، وتؤكد أن عدم طاعتهم للإسلام ناتج من جهلهم وعدائهم وظلمهم، فلهذا نجد القرآن يصفهم بالكفار ويعتبرهم يستحقون الجزاء، ويؤكد أنّ طريق هدايتهم الوحيد هو قبول شريعة الإسلام.

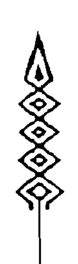
بعبارة ثانية: حتى لو أتت بداية الآية مطلقة لتدل على الإسلام بصورة مطلقة، لكن الموضوعات التي تطرح في الآيات اللاحقة وبالذات تكرار لفظة الإسلام مثل ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ تفسر بداية الآية وتحصرها في نفس الوقت؛ فهي تريد أن تقول أنّ الدين الذي هو عبارة عن التسليم المطلق، يظهر ويتجلّى في كل عصر وزمان، وقد تجلّى في عصر النبي بالإيمان والتسليم بشريعة محمد ﷺ.

الدكتور سروش يستند إلى حديث الإمام علي عليه السلام بأنّ الإسلام هو التسليم، فأقول إنّ الإمام ومن خلال ذلك الحديث أراد التعبير عن حقيقة وجوهر الإسلام الذي يشكل جوهر الأديان، ألا وهو التسليم المطلق أمام الله، كما أنّ الإيمان بالأنبياء في مختلف العصور يعد ضرورة لتحقيق ذلك. إنه يحاول تفسير الإسلام بوساطة ما يشكل ضرورة له، وهذا يعني أنّ الإسلام يقتضي أن يخضع الإنسان لله ويسلم نفسه له. أمّا أن نقول بأنّ الإمام في ذلك الحديث أراد ان يعمم الإسلام على الأديان كلها ويجعلها في موازاة الإسلام حتى يكون لها أحقية، فإنّ هذا يخالف ظاهر الحديث. هناك أدلة أخرى تؤيد أن الإسلام هو الدين الكامل والناسخ في منظور الإمام علي عليه السلام أشرنا فيما سبق إلى بعض من تلك الروايات حيث اعتبر

---

(١) ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.





الإمام الإسلام بأنه دين الله المختار الذي غلب وأذل الأديان الأخرى، وتلك الروايات تعارض تفسير أنصار التعددية لذلك الحديث[1]. إلا إذا افترضنا ـ والعياذ بالله ـ بأن فكر الإمام كان يتطور في مراحل مختلفة وكان معرضاً للخطأ وخاضعاً لآليات المعرفة البشرية.

٦. تحريف رأي المفسرين

قام دعاة التعددية بتحريف أقوال المفسرين الكبار بغية دعم أدلتهم وخلع الطابع الديني والتفسيري على نظرياتهم المستندة إلى القرآن، فحاولوا، عبر نقلهم أجزاءً من عبارات المفسرين في تفسير الإسلام، التأكيد بأن الإسلام هو التسليم المحض ليظهروا أنهم (أي المفسّرين) كذلك يؤيّدون أحقية الأديان الأخرى، وذلك من خلال تعميم مفهوم التسليم المطلق للإسلام.

الخطأ يكمن في أنهم لم يفهموا فحوى كلام المفسرين عن عمد أو غير عمد. وكما قلنا، عند تعريفنا للدين والشريعة، إنّ الدين ليس إلا واحداً وهو التسليم والخضوع أمام الله، وإنّ المفسرين يقولون بأن جوهر الإسلام هو التسليم، وهذا ما كانت الأديان الإبراهيمية عليه، لكنهم يؤكدون بعد تعريفهم الدين بأن التسليم يظهر في أقنعة مختلفة حسب الزمان. فمن هنا تصبح حقيقة التسليم في عصر النبي اعتناقَ الإسلام، ومن يخرج عن دائرة الإسلام سواء كان من أهل الكتاب أم لا، فليس على الإسلام الحقيقي؛ لهذا السبب يعتبر المفسرون أهل الكتاب بأنهم كفار يستحقون العذاب الإلهي.

أمّا الآن فسنأتي بنصوص من المفسرين بهدف إثبات قولنا والابتعاد عن الكلام في العموميات.

---

(١) الميزان ج٣، ص١٢٦.



الشيخ الطوسي (م ٤٦٠هـ):

يذهب، كسائر المفسرين، إلى أنّ حقيقة الدين وجوهره هما حقيقة واحدة متمثلة في التسليم المطلق، كما يعتبر الإسلام الحقيقي بأنه التسليم المحض أمام الله لكنه يضيف أنّ طريق الحصول على حقيقة الإسلام في عصر النبي يمر عبر الإيمان بالنبي. بعبارة أخرى: لا يتحقق الإسلام الحقيقي والإسلام الإبراهيمي إلا عندما ينتهي بالإسلام المحمدي. «الإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي»[١].

كما يؤكد عند تفسير الآيات الأخرى بان الهداية معناها اهتدوا إلى طريق الحق[٢] وان تولوا معناه كفروا ولم يقبلوا واعرضوا عنه[٣].

العلامة الزمخشري:

يذهب إلى أنّ لفظة الإسلام التي ذُكرت في الآية، تعني العدل والتوحيد نظراً إلى الآيات السابقة[٤].

ويتطرق إلى نقد وجهة نظر الأشاعرة القائلة بالجبر وإمكان رؤية الله وإنكار عدالة الله مستنداً إلى تلك الآية ثم يطعن في أحقية إسلام أهل الكتاب معلّلا رأيه بأنهم يعتقدون بإلهيْن أو ثلاثة.

يرى الزمخشري أن أهل الكتاب بعيدون عن الإسلام الحقيقي وصراط الهداية في ضوء تلك الآية والآيات الأخرى ويؤكد أنّ رفضهم الإسلام ناتج من حبهم للرئاسة بينما «لا شبهة في الإسلام»[٥].

---

(١) الشيخ الطوسي: تفسير التبيان ج٢، ص٤١٨، مكتبة الأمين، النجف، ١٣٦٧هـ.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٢٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٢٠.
(٤) الزمخشري جارالله: تفسير الكشاف، ج١، ص٣٤٥.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٤٧.



الشيخ الطبرسي (م ٥٤٨ هـ):

يشاطر الشيخ الطوسي الرأي بأن ضرورة تحقيق الإسلام الحقيقي هي الالتزام بالإسلام المحمدي، وذلك في تفسيره «مجمع البيان»[1]. ويطلق على رافضي الإسلام الكفار[2].

إنه يبحث هذا الموضوع في تفسير جوامع الجامع، كما يفعل الزمخشري، ثم يكفر أهل الكتاب لعدم تصديقهم نبوة الإسلام. وعند تفسير الآية الـ ٢٠ من نفس السورة يقول بما معناه، إن دين الإسلام هو الدين الوحيد والأصلي الذي يلزم جميع المكلّفين الإقرار به[3].

البيضاوي (م ٧٩١ هـ):

بدايةً يفسر الإسلام ويقول إنه التسليم، ثم يقول بصريح العبارة إنه لا دين مرضى عند الله سوى الإسلام، وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ[4]. أمّا في تفسيره الآية الـ ٤١ من سورة البقرة ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ فينقل حديثاً مفاده ضرورة اتباع موسى شريعة محمد ﷺ لو بقي حيّاً ويقول: إنهما لا يتعارضان لأنّ البشارة بظهور الإسلام وضرورة إتباعه تُعد من تعاليم شريعة موسى[5]. لهذا يرى أنّ الآيات التي تدل على عالمية شريعة موسى أو أفضليته على العالمين كـ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لاتتجاوز زمناً محدداً[6].

---

(١) تفسير مجمع اليبان، ج٢، ص٤٢٠، المكتبة الاسلامية، طهران.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٢٢.
(٣) جوامع الجامع، ج١، ص١٦٤، با مقدمه دكتر گرجي، مركز مديريت حوزه علمية قم.
(٤) تفسير البيضاوي ج١، ص٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ
(٥) المصدر نفسه، ص٥٨.
(٦) المصدر نفسه، ص٦٠.



رأي محمد جمال الدين القاسمي (م ١٣٣٢ هـ):

إنه يقول إنّ الإسلام هو التوحيد، وذلك عند تفسيره الآية الـ ١٩ من سورة آل عمران لكن ليس التوحيد المطلق بمعنى أنه يشمل الأديان الأخرى بل يقيده بالخضوع والتدرع بشريعة الإسلام[1].

كما يؤكد على أنّ ظهور الإسلام كان قد وعد في الأديان السابقة بأنّ الهداية عند أهل الكتاب لا تتحقق إلا بقبول الإسلام وذلك عند تفسير الآيات الأخرى.

محمد جواد مغنية (١٩٧٩م):

يشاطر أغلبية المفسرين الرأي بأن الإسلام هو التسليم المطلق؛ ولهذا يعتبر أنّ الأمم السابقة كانوا على الإسلام الحقيقي، لكنه يؤكد أنّ حقيقة الإسلام الإبراهيمي تتجلى في اتّباع الإسلام المحمدي، ويقول، عند تفسيره، فإن أسلموا فقد اهتدوا: «لا شي وراء الإسلام إلا الكفر والضلال»[2].

العلامة الطباطبائي:

سبق لنا وقلنا إنّ الدكتور سروش وآخرين[3] يحاولون أن يفسروا الإسلام بأنه التسليم المطلق، حتى يضعوا أتباع الأديان الأخرى ضمن المسلمين الذين بلغوا جوهر الدين، وبالتالي هم أيضا يسيرون على الصراط المستقيم. ويستند إلى تعريف العلامة الطباطبائي ليدعم رأيه وتفسيره.

لو تأملنا ملياً في كتابه «الميزان» وكتب العلامة الأخرى، يظهر خطأ

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج٤، ص٨١١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ.

(٢) التفسير الكاشف ج٢، ص٣٠، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

(٣) سيد محمد ثقفي، صحيفة همشهري ١٣٧٩/٢/٢١، ص٩.



رأيه. لنوضح الأمر ونقول بأنّ العلامة يعرّف الإسلام عند تفسيره أنّ الدين عند الله الإسلام، بانه التسليم المطلق الذي يشكل جوهر الأديان الإلهية. لكنه يؤكد أنّ ذلك التفسير لا يتحقق إلا بقبول الإسلام المحمدي، ولهذا لا يعمم التفسير القائل بأنّ الإسلام هو التسليم المطلق كي يشمل أهل الكتاب؛ لأنهم كانوا عالمين بذلك واتخذوا الطغيان وكفروا بالآيات[1].

ثم يقول: والآية تشتمل على تهديد أهل الكتاب بما يُستدل عليه بالبغي وهو الانتقام[2].

وفي ختام بحثه يحاول أن يردّ على التفسير الخاطئ أعلاه ويذكر أنّ ما ذكره بعض المفسرين من أنّ في الآية دليلاً على حرية الاعتقاد في أمر الدين، وأنّ لا إكراه فيه، ليس بوجيه؛ فالآية كما عرفت، مسوقة غير ذلك[3].

قد نجد شواهد وأدلة في الصفحات السابقة واللاحقة، ولكن نكتفي هنا بنقد العلامة لرأي هنري كربن الذي يقول بأنّ لكل الأديان أحقية وأنّها كانت تتبع حقيقة واحدة وحية، وهي جميعها تشترك في إثبات هذه الحقيقة.

فيرد عليه العلامة قائلاً: إن الإسلام يطلق كلمة المستضعفين على من لا يعرفون العقائد الحقة والأحكام الدينية أو قيل لهم لكن لم يستوعبوها فإنه يعاملهم بمنتهى المداراة وإنه لايتساهل مع من رفضوا الحق بعد ما تبين لهم وعرفوا الأحكام الدينية[4].

---

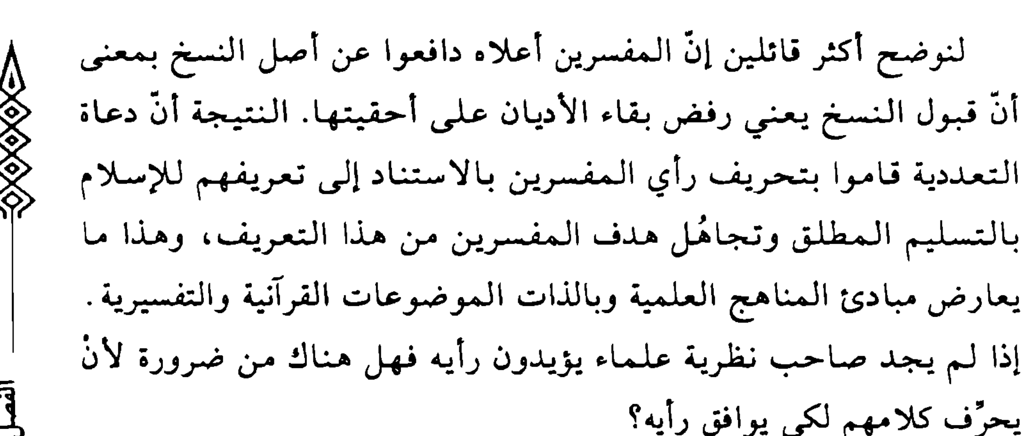
(١) أما اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في الدين مع نزول الكتاب الالهي عليهم وبيانه تعالى لما هو عنده دين وهو الإسلام له، فلم يكن عن جهل منهم بحقيقة الأمر وكون الدين واحداً بل كانوا عالمين بذلك وإنما حملهم على ذلك بغيهم وظلمهم من غير عذر، وذلك كفر منهم بآيات الله. الميزان ج٣، ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الميزان، ج٣، ص١٢٣، وراجع: ج٣، ص٣٣٤.

(٤) ظهور الشيعة، ص٨ ـ ٩.





لنوضح أكثر قائلين إنّ المفسرين أعلاه دافعوا عن أصل النسخ بمعنى أنّ قبول النسخ يعني رفض بقاء الأديان على أحقيتها. النتيجة أنّ دعاة التعددية قاموا بتحريف رأي المفسرين بالاستناد إلى تعريفهم للإسلام بالتسليم المطلق وتجاهُل هدف المفسرين من هذا التعريف، وهذا ما يعارض مبادئ المناهج العلمية وبالذات الموضوعات القرآنية والتفسيرية. إذا لم يجد صاحب نظرية علماء يؤيدون رأيه فهل هناك من ضرورة لأنْ يحرِّف كلامهم لكي يوافق رأيه؟

الدليل الثاني: تعدّد الأديان؛ اقتضاء إرادة الله

إنّ الدليل الثاني الذي يتشبث به أنصار التعددية هو نسبتهم تعدّد الأديان والصراط إلى إرادة الله. بعبارة أخرى، بما أنّ للناس معنويات مختلفة وأنهم يعيشون في مختلف الأزمنة والأمكنة فهذا يفضى إلى اختلاف الطرق التي تصِلهم بالرب. بناءً على هذا فإنّ الله أرسل أنبياء وأدياناً عديدة لهداية الناس. كتب أحدهم يقول:

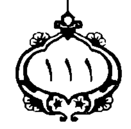
الله هو أول من زرع بذور التعددية في العالم بإرساله مختلف الأنبياء وقد أوحى إلى كل منهم وأرسله إلى الجميع وجعل على ذهنه ولغته تفسيراً وأوقد نار التعددية[1].

أمّا الآيات التي استندوا إليها لإثبات رأيهم فهي:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[2]

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾[3]

(١) سروش؛ عبدالكريم: الطرق المستقيمة.
(٢) المائدة: ٥.
(٣) الشورى: ٨.



﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(١)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾(٢)

يقول أحد الباحثين: يبدو أنّ للتعددية معنى أكثر عمقاً مما يطرح في الساحة، بعبارة أدق إنّ لكل قوم طريقاً للتقرب إلى الله وعلى الجميع أن يتسابقوا في الخيرات عبر الطريق الذي يجدونه أمامهم، هذا هوامر الله(٣).

ثم يستند الكاتب نفسُه إلى الآيات ٤٨ من سورة البقرة و٤٨ من سورة المائدة: ويقول إنهما تدلان على أن الله أراد أن يرسل الأنبياء لأنّه ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لكن مرور الأزمنة اقتضى ان تتحقق التعددية(٤) وما نواجهه من تعدّدية حالياً هو في الحقيقة عبارة عن طرق مختلفة وضعها الله لتنتهي بنا إليه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ هذا يعني أننّا لسنا أمّة واحدة بل نحن على أشكال مختلفة ثم يأمر ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ لأنّ هذه الطريقة جاءت من عند الله كلها على أحقية كاملة، وبوسعها أن تأخذ بيد السائر عليها إلى أعلى درجة يمكن سبر أغوارها، وكما يقول العرفاء: فناء في الله بقاء بالله(٥).

كتب السيد بهاء الدين خرمشاهي في معرض إجابته عن النقد الذي وجهته إليه:

بما أن الخالق يعرف فطرة وطبيعة وحياة الإنسان الجماعية والاجتماعية، والإنسان بطبيعته يميل إلى الجمع والجماعة والتجمع وفي نفس الوقت له نزعة نحو التفرق والتشعب، لهذا يقول القرآن ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) هود: ١١٨ ـ ١١٩.
(٢) البقرة: ١٤٨.
(٣) الدكتور محمود بينا السماوات السبع عدد ١.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.



لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (هود الآيات ١١و١١٨) لكنهم يختلفون، فيقول من زاوية سيكولوجية معمقة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

نقد ورأي:

المشكلة الرئيسية في استناد أنصار التعددية إلى الأديان السالفة الذكر هي عدم الاكتراث بالمضامين والآيات السابقة واللاحقة. أمّا الآن فنتطرق إلى الآيات الآنفة الذكر.

تفسير الآية الـ ٤٨ من سورة المائدة

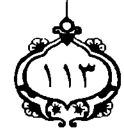
قدّم العلماء والمفسرون المتقدمون في صدر الإسلام وطيلة ١٤ قرناً تفاسير وقراءات عديدة لهذه الآية؛ القاسم المشترك بينهم عدم دلالة الآية على تأييد الأديان الأخرى وهذا ما سنشير إليها بعدئذ.

١. التفاسير المختلفة والمعتبرة

أ) إرادة الله

إنّ الآية تقصد أنّ القرآن يقول: لو أراد الله لألزم الناس جميعاً (وهو قادر على ذلك) بقدرته التي لاتزول ولو بالإكراه، على انقياد الناس للدين الحق، لكن إرادة الله لا تقتضي إكراه الناس على الإيمان؛ بل على العكس إن إرادة الله قضت أن يكون للناس الحرية في اختيار الدين الحق لكي يستحقوا باختيارهم الدين الصحيح ان يكونوا عباد الله وينالوا الثواب الإلهي، فمنْحُ الحرية لا يعني الاعتراف بالأديان الأخرى وعدم معاقبة المخطئين، نجد مثل هذا التعبير في الآيات الأخرى:

(١) الروم٣٢ كتب هذه المقالة في: قران والهيات جهاني عدد١٧، ص١٧٢ ـ ١٧٣ و١٧٦. وقرآن پژوهي، مقالع همسنخي بين اسلام واهل كتاب.راجع دراسة قرآنية مقالة المقارنة بين الإسلام وأهل الكتاب.



﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾.

إنّ الله يريد هداية الإنسان لكنه لا يريد أن تتحقق الهداية بالإجبار والقوة بل إرادة الله قضت أن يتم هذا بالاختيار، كما يعِد الرافضين بالعذاب.

أمّا أن يستندوا إلى هذه النقطة في الآية وانه لو أراد الله أن يجعل الناس أمّة واحدة أي على دين واحد كان لديه القدرة لتحقيق هذا، لكنه لم يعمل فيستنبطون أنّ تعدّد الأديان هو إرادة إلهية.

أقول في تفسير هذا القول إنّ المقصود من شاء الله ولفظة شاء التي وردت في الآيات هي شاء بالمعنى التكويني والإجباري وليس بالمعنى التشريعي. وبعبارة ثانية إنّ الله لا يريد أن يتبع الناس ديناً واحداً بالإكراه. أمّا الحديث عن أحقية الأديان، فهذه الآية لا تتطرق إلى هذا الموضوع، وليست بصدد القيام بذلك وينبغي البحث عنه في الآيات الأخرى.

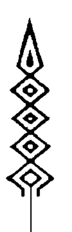
ينسب الشيخ الطبرسي هذا التفسير إلى قتادة وحسن[1].

ب) تعدّد الشرائع ونسخها

يقدم ابن عباس، وهو من المفسرين في صدر الإسلام، تفسيراً آخر فيذهب إلى أن القصد من هذه الآية هو: لوشاء الله لجمعكم على ملة واحدة في دعوة جميع الأنبياء، وكانت الشريعة واحدة منذ آدم عليه السلام حتى الخاتم صلى الله عليه وآله، ولم يكن فيها تبدل ولا نسخ[2]. إلاّ أنّ الله تعالى لم يرد ذلك، بل أرسل أدياناً وشرائع كثيرة، فحصل تبدّل في الشرائع السابقة ثم

(١) الشيخ الطبرسي: مجمع البيان ج٢، ص٢٠٣.
(٢) المصدر نفسه.





نسخت بالشريعة الخاتمة. يورد العلامة الطباطبائي أدلة أخرى في تفسير الآية قائلاً: بل المراد بجعلهم أمّة واحدة هو كون الناس على مستوى واحد من الاستعداد والتهيؤ لقبول الشريعة الواحدة لتقارب درجاتهم الملحوظة. فقوله «ولو شاء الله» من قبيل وضع علة الشرط موضع الشرط ليتضح باستحضارها معنى الجزاء، أعني قوله ولكن ليبلونكم فيما آتاكم و.. وبالجملة لما كانت العطايا الإلهية للإنسان من الاستعداد والتهيؤ مختلفة باختلاف الأزمان، وكانت الشريعة والسنة الإلهية الواجب إجرؤاها بينهم لتتميم سعادة حياتهم وهي الامتحانات لا محالة باختلاف مراتب الاستعدادات وتنوعها أنتج ذلك لزوم اختلاف الشرائع[1].

بناءً على هذا فإنّ الآية الشريفة من منظار العلّامة تبيّن سبب الاختلاف وكثرة الشرائع، والسر الكامن وراء ذلك، بعبارة أخرى، أنّ هذه الآيات والآيات الأخرى تهدف إلى إعطاء معلومات عن كثرة الشرائع وتبيين اختلافها أمّا ان نذهب إلى استنتاج أحقية الشرائع السابقة وأنها تحتفظ بهذه الأحقية حتى عصرنا فهذا ما لا يوحي به إلينا ظاهر الآية.

ج) نفي البعثة

أمّا التفسير الثالث فيقول: لو شاء الله أن يجعل الناس أمّة واحدة لم يكن ليرسل الأنبياء حتى يسير الناس على هدى عقولهم ويصبحوا أمّة واحدة، غير أنّ الله بعث عدة أنبياء للهداية ليهتدي الناس حتى لو أدى إلى رفض بعضهم وما ينجم عن ذلك الرفض من اختلاف في صفوف الأمة.

ان نتيجة التفاسير المختلفة والمعتبرة هي ان ما قدمه المفسرون طيلة ١٤ قرناً من الزمن لا يدلُّ على أنّ كلامهم وبأي شكل من الأشكال، يؤيد رأي أنصار التعددية.

(١) الميزان ج٥، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.



لو اعتبرنا ـ فرضاً ـ أنّ تفسير أنصار التعددية لتلك الآية بمثابة تفسير آخر يضاف إلى التفاسير السابقة التي قدمها ابن عباس والشيخ الطبرسي والعلامة الطباطبائي بدون أن نفضل هذا على ذاك، فإنّ هذا يدل على إضافة تفسير جديد إلى وجه الاحتمال والفرضية. وهنا تبرز نقطة لا بد من أخذها بعين الاعتبار، وهي أنه مادام التفسير الجديد لا يعارض التفاسير والمبادئ القرآنية فلا يمكن أن ندعي أنّ الآية تتحدث عن التعددية. هنا نحن أمام تفاسير وقراءات متعارضة ومتشابكة، فلكي يتبين موقف القرآن علينا أن نراجع الآيات الأخرى. سنوضح في الموضوعات اللاحقة أنّ الآيات الأخرى لا تبرهن بأي شكل على ادعاء أنصار التعددية بل الآية التي يستندون إليها تقف على النقيض من ادعائهم.

٢. تجاهل الآيات السابقة

قلنا في مقدمة هذا الفصل إنّ أنصار التعددية يتمسكون بجزء من الآية ويتجاهلون الآيات السابقة عليها واللاحقة لها، أو حتى نفس الآية، لكن إذا تأملنا في الآيات السابقة ينكشف لنا ضعف ووهن استدلالهم.

إنّ الله في الآيات السابقة يسرّي عن النبي ﷺ حول عدم إيمان أهل الكتاب ويقول:

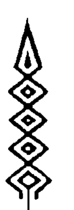
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾

وفي الآية نفسها يصف الله القرآن بأنه الكتاب المهيمن على الكتب السابقة:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾

إن المهيمن كما يقول اللغويون والمفسرون تفيد امتلاك السلطة والحكم والإشراف. القرآن له سلطة على التوراة والإنجيل، كما يقول العلامة





الطباطبائي: تتحقق هيمنة القرآن على الكتاب المقدس بحفظه مبادئه الثابتة والفطرية وتغييره ونسخه التعاليم الفرعية[1].

هناك نقطة أخرى تتمثل في ذكر المهيمن بعد المصدق، هي بهدف إزالة الظن والتوهم بأن القرآن يؤيد الكتب السابقة عليه بدون أدنى تغيير فيها، وهي النقطة التي من المحتمل أن يتخذها أنصار التعددية ذريعة لإثبات أقوالهم. تشير الآية (لو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة) إلى أنّ الله لو أراد لكان نسخ الشرائع السابقة، غير أنّ نسخ الكتب السماوية وأيًّا منها تصبح المهيمنة، هي أمور تتوقف على إرادة الله.

٣. اختلاف الأديان نتيجة الأهواء النفسية

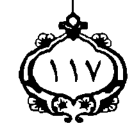
حاول بعض أنصار التعددية أن يعللوا سبب اختيار الناس ديناً خاصاً ورفض الآخر إلى الأسباب الطبيعية والفطرية، ويضربون مثلا أن أهل الكتاب يرفضون الإسلام لارتباطهم القلبي بشعبهم وقومهم ودينهم ونبيهم، وكذلك الحال مع الأقوام الأخرى. بناءً على هذا، وبما أنّ الله يعرف هذا الأمر فقد أرسل لكل قوم ديناً.

يقول أحدهم إن البشر يميلون إلى التفرقة والتحزّب وهذا واقع تاريخي، والله يعلم ان النبي يحمل رسالة إلى قومه لكي يتبع الناس دينه (قليل منهم أو أكثرهم أو كلهم أو مجموعة خاصة) ويؤمنوا به وبالتالي يلتزموا بدينهم، فإذا ظهر نبي جديد بعد مرور عدة سنوات وظهور أجيال جديدة ودعا إلى دين جديد وطالب بأن يتركوا دينهم ويتبعوا دينه فهذا ليس بأمر هين على الناس لهذا لم تتحمل اليهودية دعوة المسيح والأمر نفسه حدث للنصارى عندما تمّت دعوتهم إلى الإسلام فنشبت حروبٌ كبيرة بين الأديان الثلاثة[2]، ثم يستند إلى آيتين:

---

(١) الميزان ج٥ ص٣٤٨.

(٢) خرمشاهي، بهاءالدين: بينات عدد١٧، ص١٧١ ـ ١٧٦.



﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[1]

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2]

أقول في تحليل ونقد كلامه إنّ الدين والشريعة الإلهية أمر فطري[3] وإنه يلبي حاجات ومعنويات الإنسان، ولو تمّ عرض الدين الإلهي بصورته الخالصة على الإنسان، ولم يدنس جوهر فطرته بالذنوب، فمن المستحيل أن يتم رفض الدين.

ملخص الكلام أنّ حقيقة الدين ـ وهو كما قلنا مراراً يعني التسليم لله ـ تتجلى في القبول والانقياد للأوامر الإلهية التي أبلغها الأنبياء، فلو فرضنا أنّ اليهود رفضوا المسيحية وهي رسالة إلهية وفطرية، فإنّ أصل دينهم يصبح محل ريبة، ولا يمكن الادعاء أنهم بقوا على فطرتهم كما هي. أجل إنهم بقوا على عصبيتهم الجاهلية البعيدة عن الحق والتزموا بها.

يصدق هذا القول على الإسلام فعندما رفضه اليهود والنصارى لم يكن عملهم نتيجة لفطرتهم الميالة نحو التفرقة، كما يقول الكاتب، أو العلاقة القلبية بإيمانهم بل ناتج من طابعهم المتسم بالحسد والاستكبار والبغي والظلم، والذي جعل أكثرهم يتخذون موقف العناد والعداوة، وهم على علم بأحقيّة الإسلام. يكشف القرآن وفي عدة آيات النقاب عن سر هذا الأمر:

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[4]

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[5]

---

(١) هود: ١١٨.

(٢) الروم: ٣٢.

(٣) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم ٣٠.

(٤) آل عمران: ١٩.

(٥) البقرة: ٢١٣.



والعشرات من الآيات التي تدعو إلى الوحدة والنهي عن التفرق في الدين أو اختيار الطرق غير المستقيمة أي السبل، فلا مجال هنا للتطرق إليها[١].

يفرق العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان، بين اختلاف الناس في أمور الحياة والمعيشة واختلافهم في الدين ويؤكد أنّ السبب الرئيس في اختلاف الناس في الدين ليس إلا البغي والحسد[٢].

أجل لابد من الفصل بين من يجهلون أحقية دين الإسلام المقدس وهم جهلاء وبين العلماء من يصفهم القرآن بالمستضعفين لكن يرجون رحمة الله أما الاستناد إلى الآية ٣٢ من سورة الروم فهو يثير علامات الاستفهام والتعجّب لأنّ هذه الآية بالذات والآيات التي قبلها تحذّر التفرق في الدين بصراحة وتعتبره من ميزات المشركين.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣]

إنّ تلك الآية لا ترفض أن تتمسك كل فرقة بما لديها، كما لاتؤيد هذه القضية بل تأخذها بمعنى آخر وهو: لو حصل تعارض بين الفطرة والدين الحنيف فإنها تعتبر هذا الامر من ميزات المشركين وأصحاب النار.

تفسير الآية الـ ٨ من سورة الشورى

هناك تفاسير عديدة لهذه الآية لم تتحدث عن توجه تعددي، نشير إلى بعض منها:

---

(١) الروم: ٢٨ ـ ٣١ والأنعام: ١٥٣ ـ ١٥٩ وآل عمران: ١٠٥.
(٢) الميزان، ج١١، ص٤٥و٦١.
(٣) الروم: ٣١ ـ ٣٢.



أ) إرادة القدرة:

بما أن توضيح وشرح هذا الشطر لا يختلفان عن الشرح الذي قُدِّم للآية السابقة فلا حاجة إلى التكرار. الجبائي[1] والزمخشري[2] وآخرون يؤيّدون هذا التفسير.

ب) ذكر المعاد

يعتقد بعض المفسرين أنّ الآيات السابقة والآية التي جرى الحديث عنها لا تشير إلى وحدة الأديان أوتفرقها بل إنها تتحدث عما يكون الناس عليه في يوم القيامة، ولو شاء الله لأدخلهم إما الجنة وإما السعير. وعندها تتكون الأمة الواحدة، ذلك أنّ الله هو مالك الناس بصورة مطلقة وأنّ الآية السالفة الذكر تلزم النبي بأن ينذر الناس بالمعاد ويصفه لهم حيث ينقسم الناس اثنين:

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3]

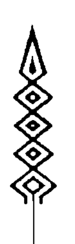
من الواضح أنّ الآية تتحدث عن المعاد حيث يكون الناس إما أصحاب الجنة وإما أصحاب السعير ثم تقول إنّ الدخول في بوابة الرحمة الإلهية يتوقف على إرادة الله والظالمون مالهم من ولي ولا نصير. فهذا يشكل دليلاً آخر على أن القضية تتمحور حول المعاد.

من المعروف أن أسلوب الطباطبائي هو تفسير القرآن بالقرآن وهو يدافع عن هذا التفسير ويرفض التفسير الأول،[4] كذلك هو الأمر بالنسبة إلى

---

(١) مجمع البيان ج٥، ص٢٢.
(٢) تفسير الكشاف ج٤٠، ص٢١٠.
(٣) الشورى: ٧ ـ ٨.
(٤) الميزان ج١٨، ص٢٠.





المتقدمين من المفسّرين[١] فكيف يفسر دعاة التعددية ظاهر الآية ونصها بالخطأ ويتخذونها كدليل على أقوالهم؟ فهذا ليس واضحاً ولو قبلنا به كاحتمال، فستطفو الإشكالية السابقة على السطح.

تفسير الآية الـ ١١٨ من سورة هود

هناك قراءتان في تفسير هذه الآية.

أ) إرادة القدرة:

في ضوء الآيات السابقة[٢] يتضح لنا أنّ هذه الآية بصدد التعبير عن اختلاف الناس في أمر الدين الحق. على سبيل المثال إنّ الله في الآيات السابقة يهدئ النبي ﷺ لعدم إيمان المشركين بالإسلام ويذكر أنّ المشركين أعرضوا عن الدين الحق كآبائهم والأمم السابقة، أما النقطة المهمّة فهي ليست تأييد الناس عندما يختلفون في أمر الدين، بل إنه يبشرهم بالعذاب الشديد في يوم القيامة.

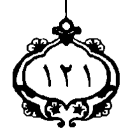
ولكي يهدئ النبي يشير الله إلى أنه أنزل الكتاب على النبي موسى فاختلف أمته فيه، وفي نهاية الآية يذكرنا بأنه أمهل الكافرين في الدنيا.

إنّ الحديث في الآيات السابقة يتمحور حول اختلاف الناس في الدين الإلهي وتقسيمهم إلى مؤمن وملحد، ثم يشير الله إلى قوته المطلقة وأنّه لو شاء لجعل الناس أمّة واحدة، لكن ترك الحرية للناس لكي يختاروا الصراط المستقيم بأنفسهم ويشاهدوا جزاء عملهم في الآخرة. هذا الأمر أفضى إلى أن يكون الناس على أديان مختلفة لأن أمر الله اقتضى أن لا يختار الناس ديناً واحداً بالإكراه والإجبار.

---

(١) مجمع البيان ج٥، ص٢٢.

(٢) ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (سورة هود).



ثم إنّ الآية تدل على كثرة الأديان، لكنه لا يوجد فيها أي دليل على أنها تؤيد ديناً بعينه. ويبدو أن دلالة الآية على كثرة الأديان تفنّد مزاعم التعددية بشكل تامّ.

كما يؤيد الكثير من المفسرين كـ قتادة[١] والطبرسي[٢] والطوسي[٣] والعلامة الطباطبائي[٤]، ما ذكرناه سابقاً.

ب) ذكر المعاد:

يذهب البعض كابن مسلم إلى أنّ الآية تتحدث عن المعاد، وذكرنا هذا في ما سبق. لكن يبدو أنّ التفسير الأول هو الأصح نظرًا إلى الأدلة التي توجد في الآيات السابقة.

تفسير الآية الـ ٤٨ من سورة البقرة

هناك وجهات نظر كثيرة حول تفسير هذه الآية، نشير إلى التفاسير المعروفة:

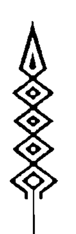
أ) ذكر القبلة

إنّ القول الشهير عن كلمة الوجهة التي وردت في هذه الآية هو أنها تعني القبلة، وهي الجهة التي يصلي الناس نحوها، أي أنّ لكل الأقوام والأديان قبلة يصلون نحوها، اليهود يتجهون إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق الناصري مولد النبي عيسى، والمسلمون إلى الكعبة.

إنّ هذا الدليل في تفسير هذه الآية هو الآيات السابقة عليها واللاحقة

(١) مجمع البيان ج٣، ص٣٠٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) تفسير التبيان ج٦، ص٨٣.
(٤) الميزان ج١١، ص٤٥ ـ ٦١.





لها[1]، وإنّ جميعها تدل على تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. فضلاً عن هذا إنّ الوجهة ـ كما ذكر اللغويون كالفراء[2] وراغب[3]ـ مشتقة من الوجه أي القصد وليس الطريق والمنهج. ثم إنّ تفسير الوجهة بمعنى القبلة يوافق المعنى اللغوي لها.

إنّ الشيخ الطبرسي ينسب هذا الرأي إلى أغلبية المفسرين، ويقول الفخر الرازي إنّه قول المفسّرين باستثناء الحسن. كما أورد هذا التفسير الكثير من المفسرين نشير إليهم حسب الترتيب التاريخي. يمكن ذكر ابن عباس ومجاهد وقتادة من الأوائل ومن المتقدمين أغلبية المفسرين كالطبرسي[4] والطوسي[5] والبيضاوي[6] والمراغي[7] والزمخشري[8] والالوسي[9] ومن المعاصرين العلامة الطباطبائي[10].

هناك قضايا تخصصية تطرق إليها المفسرون حول المضاف إليه «الكل» ومرجع الضمير «هو» لا مجال لطرحها هنا[11].

بناءً على ما تقدَّم إنّ الآية لا تتحدث في الأساس عن موضوع اختلاف الأديان، فليس هناك أي دليل ليتمسك به أنصار التعددية.

---

(١) ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

(٢) فخر الرازي: التفسير الكبير ج٤، ص١٣١ ـ ١٣٢.

(٣) مفردات راغب، اصل وجهه؛ مجمع البحرين ج٦، ص٣٦٥ (كتاب الماء، ماأوله الواو).

(٤) مجمع البيان ج١، ص٢٣١.

(٥) تفسير التبيان ج٢، ص٢٤.

(٦) تفسير البيضاوي ج١، ص٩٤.

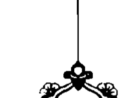
(٧) تفسير المراغي ج٢، ص١٤.

(٨) تفسير الكشاف ج١، ص٢٠٥.

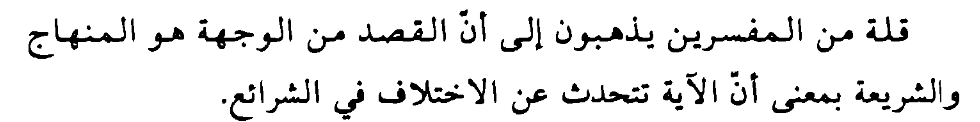
(٩) تفسير روح المعاني ج٢، ص١٥.

(١٠)الميزان ج١، ص٣٢٧.

(١١) ذكرت هذه الاحتمالات للمضاف إليه لكل: أ) القوم والناس ب) أهل الكتاب ج)أهل الكتاب والمسلمون د) الفرق الاسلامية، وسنشير إليها لاحقا.



ب) ذكر اختلاف الشريعة:



قلة من المفسرين يذهبون إلى أنّ القصد من الوجهة هو المنهاج والشريعة بمعنى أنّ الآية تتحدث عن الاختلاف في الشرائع.

الحسن من المدافعين الشهيرين عن هذه القراءة، إلاّ أنّه يؤكد أنّ المراد من المنهاج والشرع هو المعنى المصطلحي للشريعة وليس الدين. والمراد منه أنّ للشرائع مصالح فلا جرم اختلاف الشرائع بحسب اختلاف الأشخاص، وكما اختلف بحسب الأشخاص لم يبعد أيضا اختلافها بحسب الزمان بالنسبة إلى شخص واحد. ولهذا صح القول بالنسخ والتغيير[1]. وهناك من المفسرين من صنف هذا التعبير ضمن التفسير السابق، كالفيض الكاشاني[2].

إنّ أنصار هذه الرؤية لايتفقون حول مرجع الضمير «هو»؛ فالبعض يرى أنّ لكلٍّ بمعنى أنّ لكل قوم شريعة وطريقاً يتجه نحوها. وعليه فالآية تدل على كثرة الأديان لكنها لا تثبت أحقيتها بمعنى أنّ الآية تهدف إلى شرح وضع الناس والشعوب وبأن لكل شعب طريقاً يختاره.

ذهب البعض إلى أنّ الله هو المرجع لضمير «هو» وأنّ لكل قوم طريقاً ومنهجاً يهديهم الله إلى هدفهم وطريقهم. هذا القول يطرح السؤال التالي وهو: هل الوجهة هي الطريق بصورة مطلقة، حقاً كانت أم باطلاً؟ أم الهدف هو الشريعة والدين الحق؟

أمّا القول بأنّ الله يهدي ويرشد إلى الباطل فليس من شأن المؤمن حتى لو كان من دعاة التعددية. إنّ الله يدعو الناس إلى الشرائع الحقة وإنّ القرآن يؤيد هذا الأصل. أمّا القول بأنها تدل على أحقية الأديان سيّما أهل الكتاب، وإنّ الشخص وبهداية من الله أصبح يهودياً أو نصرانياً فينبغي أن

---

(١) مجمع البيان ج١، ص٣٢١.
(٢) تفسير الصافي ج١، ص١٥٠.






نقول إنّ استنتاج هذه المقاربة هو خلاف لظاهر لفظة الوجهة ومتفرعة على تفسير الوجهة بمعنى الشريعة كما أنها ناتجة من إرجاع ضمير هو إلى الله والتي تتطلب منا التأمل. ثم هذا التفسير يعارض الآيات الأخرى والآية التي تسبقها[1] حيث تصرح بأن أهل الكتاب لم يهتدوا ومصيرهم هو الشقاق، وتعتبر رفض الإسلام ناتجاً من إتباعهم الأهواء النفسية، فهذا لم يترك أي دليل لإثبات تفسير دعاة التعددية لهذه الآية.

ج) الإشارة إلى اختلاف الغاية:

أمّا التفسير الثالث فهو التفسير العرفاني الذي يؤيد التفسير اللغوي للفظة الوجهة، أي أن القصد من الوجهة هو الجهة والغاية، كما أنّ الآية تؤكد أنّ لكل قوم وإنسان طريقاً ومسيراً نحو الكمال في هذه الدنيا، وذلك حسب استعداده وقدراته، ويرشده الله نحو ذلك الهدف (إنّ الله مرجع ضمير هو) أو أن الأمم والناس تتوجه إلى ذلك الهدف (مرجع الضمير هو إلى الكل).

يقدم مُحيي الدين بن عربي مثل هذا التفسير حيث يقول: ولكل واحد منكم غاية وكمال بحسب استعداده الأول، والله موجه وجهه إليها أو هو نفسه موجّه إليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده بإذن الله[2] إن الحديث حول هذا الرأي يتطلب موقفاً آخر.

أمّا النتيجة فإنّ تفسير دعاة التعددية هذه الآية لصالحهم يعد تفسيراً ابتداعياً يخالف الآيات السابقة والآيات اللاحقة والآيات الأخرى، وإنّ تأويل معنى هذه الآية يتوقف على تجاهل التفاسير الثلاثة المعقولة والمعروفة السابقة والتي تنقسم بدورها إلى وجهات نظر عديدة، ولو قبلنا به كفرضية ستظهر المشكلة الآنفة الذكر.

---

(١) ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾.

(٢) مُحيي الدين بن عربي، تفسير القرآن الكريم ج١، ص٩٦.

تفسير سبب التسابق في الخيرات:

يتمسك البعض بالآية ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ كدليل على الاعتراف بالتعددية لأنّ الآية تدعو كافة الناس إلى التسابق في الخيرات بغية الحصول على القرب الإلهي، وتتحقق هذه الدعوة والتسابق في حالة واحدة وهي أن يتمتع كافة الناس بالظروف والأرضية المتساوية لإجراء المسابقة. عندها يتحقق الصراط المستقيم ويمكن اعتبار دينهم وصراطهم هو الحق.

إنّ المسابقة لكي تكون عادلة لابد أن يتمتع الجميع بظروف مشابهة كما الحال في مسابقات العدو حيث يقف الجميع على خط واحد ولا ينبغي أن يتقدم أحد أو يتأخر. ويستنبط من آية ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أن الأديان كلها بمثابة طرق للوصول إلى الله[1].

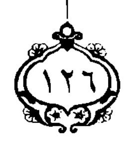
إنّ الكاتب يدعي في مقال آخر أنّ الخيرات التي يعتبرها كشرط للمسابقة، توجد في الأديان كلها كالإسلام واليهودية بصورة متساوية[2].

ما تطرقنا إليه سابقاً يجيب عن هذا السؤال لأنّه لم يكن هناك شك بأنّ الله دعا كافة الناس حتى أهل الكتاب إلى الإسلام المحمدي، وهناك العشرات بل المئات من الآيات تؤيد هذا الموضوع بصراحة. في الواقع إنّ هذه النقطة هي البداية للسباق الحقيقي فإنه يبدأ من هنا. بعبارة أخرى: هناك شرط للمشاركة في السباق وهو التسجيل في مدرسة الشريعة الإسلامية، ومن لا يسجل اسمه في هذه المدرسة فلن يحضر السباق أساساً حتى يتحدث عن الظروف العادلة أو القاسية. إنّ القرآن يطلق على من

---

(١) بينا الدكتور محمود: هفت اسمان عدد١، ص٨.

(٢) أقول في جواب هذا السؤال: هل إن للدين طريقاً بعيداً للوصول إلى الله أم لا؟ لنرجع إلى الآية فاستبقوا الخيرات لو وجدت في دين ما امكانية أكثر فإن دعوة الله إلى السباق هي غير عادلة؛ ان الله يقول لوشاء الله لجمعكم أمّة واحدة لكننا لم نفعل فالامم عديدة ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾. المصدر نفسه، ص١٢ ـ ٢٢.



خرجوا من السباق، ومنهم أهل الكتاب، الصفات التالية: الكافر الفاسق المعاند وأصحاب النار، فيعلن عدم نجاحهم مسبقاً.

لنوضح أكثر فنقول إنّ عبارة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ تدل على من حضروا السباق وهم المسلمون، ويؤيد كلامنا المفسرون جميعاً. ولو افترضنا أنّ الدعوة إلى الخيرات لها دلالة عامة حيث تشمل أهل الكتاب، ففي هذه الحالة يعني أنّ لكل قوم طريقاً وشريعة خاصة، وكما يريد الله من أتباع الشرائع المختلفة أن يعملوا بالخيرات والإحسان، إذا لم يستسلموا للشريعة الإلهية الكاملة والأخيرة كحد ادنى، كدعوة أهل الكتاب إلى التوحيد[1] باعتباره القاسم المشترك للأديان الإبراهيمية. ويدعوهم الله مراراً إلى الإسلام المحمدي ويشدد عليهم بأن يلتزموا على الأقل بأصل التوحيد، إذا رفضوا الإسلام، وهذا يؤدي في نهاية المطاف إلى القبول بالدين الاسلامي. وسوف نقوم بتوضيح الآية لاحقاً.

بناءً على ما تقدّم أشير إلى نقطتين: الأولى أنّ الآية تخاطب المسلمين، والثانية لو عممنا الآية فإنها تدعو إلى الخيرات فقط، وليس فيها ما يدل على تأييد أحقية الشرائع المختلفة.

الدليل الثالث: استخدام صراط مستقيم بصيغة النكرة

يعتقد أنصار التعددية أن القرآن يتحدث عن صراط مستقيم بصورة مطلقة وبصيغة النكرة لإيصال رسالة مفادها أنّ لكل نبي وأتباعه صراطاً مستقيماً؛ فعند كثرة الأنبياء أو أصحاب الشريعة منهم نجد طرقاً مستقيمة وليس صراطا مستقيماً. نشير في ما يلي إلى الآيات التي يستند إليها أنصار التعددية.

أ) ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) الزخرف: ٤٣.



يرى أنصار التعددية أنّ الآية هذه تصف نبي الإسلام بأنه الوحيد الذي يسير على منهج واحد وصراط مستقيم. نستنتج من هذا أنّا لسنا أمام صراط مستقيم خاص يعرف بالإسلام بل هناك عدة طرق مستقيمة وحقة في نفس الوقت. أمّا الدليل فهو صراط مستقيم بصورة مطلقة ونكرة وعدم تقييده بـ ال المعرفة والعهدية كي يختص بصراط خاص ومحدد وهو شريعة النبي محمد ﷺ.

ب) ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]

جَ) ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[2]

هاتان الآيتان تخاطبان النبي، ويصدق ما قلنا آنفا عليهما.

د) ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]

هذه الآية تخاطب النبي إبراهيم وتقول بأنه يسير على الصراط المستقيم.

يكتب الدكتور سروش مستندًا إلى هذه الآية:

لابد من الإصغاء إلى هذه النقطة وبالتالي تغيير المشهد والمنظر كي لا نرى العالم بأنه مكون من خط واحد مستقيم، ومئات من الخطوط المتعرجة، بل يتكون العالم من مجموعة من الخطوط المستقيمة والمتقاطعة والمتوازية. فالحقيقة غارقة في الحقيقة أ لا يعني هذا أنّ القرآن يصف الأنبياء بأنهم على الصراط المستقيم أي يسيرون على أحد الطرق المستقيمة[4]؟

---

(١) يس: ٣ ـ ٤.
(٢) الفتح: ٢.
(٣) النحل: ٢١.
(٤) سروش عبدالكريم؛ صراطهاي مستقيم، ص٢٧.





نقد ورأي

ما أوردنا هو دليل ضعيف يتمسك به دعاة التعددية، وسنشير إلى نقائصه.

أ) عدم الاكتراث لمعنى عبارة الصراط المستقيم

مشكلة الرؤية تلك هي عدم الاكتراث بمعنى عبارة الصراط المستقيم في القرآن، لو نظرنا إلى تكرار هذا المصطلح في القرآن (مايقارب ٣٢ مرة) لاتَّضحَ أنه يعني جوهر الدين وحقيقته أي التسليم إلى أمر الله كما تعرّف بعض الآيات الإلهية أنّ المعرفة التعبدية وعبادة الحق المرافقة بأنها الصراط المستقيم.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(١)

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(٢)

لهذا نجد في بعض الآيات أنّ كلمة الصراط تضاف إلى كلمة الله.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(٣)

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٤)

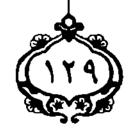
كما تعني الصراط المستقيم في الآيات الأخرى الهداية التي تقابل الضلالة.

﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٥)

فمن هذا المنطلق إنّ حقيقة الصراط المستقيم هي العبودية لله والالتزام بالدين السماوي. الصراط المستقيم هو كالنور يحصل الانسان في ظله على

---

(١) يس: ٥١.
(٢) آل عمران: ٥١.
(٣) الشورى: ٥٣.
(٤) الأعراف: ١٦.
(٥) الأنعام: ٣٩.



القرب إلى الله ومثله كحقيقة النور واحدة ولا تقبل الكثرة، لكن شأنه شأن النور في الشدة والضعف. إنّ الصراط المستقيم مر بمراحل التطور منذ أن ظهر أول نبي، بمرور الازمنة والتطور في استعداد الأنبياء والامم.

إنّ سبب الوحدة في حقيقة الصراط هو عدم استعماله بصورة الجمع خلافا للشريعة والمنهاج والسبيل التي استخدمت بصيغة الجمع غير مرّة. إنّ سبب منظار التشكيك المفتعل وتطور الصراط هو استخدامه في أكثر الاحيان بصورة نكرة، بعبارة أخرى إنّ الصراط المستقيم هو واحد لكن الصراط المستقيم الذي تحدث عنه النبي آدم على سبيل المثال أو اهتدى وفقه، يختلف عن الصراط المستقيم الذي عرفه النبي محمد ﷺ[1] وسار على دربه. في الحقيقة إنّ هذه الطرق تقف في مسار طولي وليس عرضياً.

يتضح مما ذكرناه أنّ الصراط المستقيم، كحقيقة الإسلام، يتمظهر في كل عصر وزمن بشكل خاص. على سبيل المثال، كان اليهود على الصراط المستقيم حتى ظهور عيسى، فأصبح مكوثهم في الصراط المستقيم منوطاً بالتسليم لشريعة عيسى. ولو رفضوا النبي عيسى فلا يخرجون عن الصراط المستقيم الذي كانوا عليه فحسب بل يصبحون من الكفار. كما يدعو النبي عيسى اليهود إلى الصراط المستقيم، ويرى أنّ أصل التوحيد وعبادة الله تشكل حقيقته ويقول:

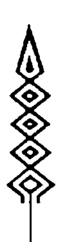
﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2]

التدقيق في هذه الآية الشريفة يرشدنا إلى عدة نقاط حساسة ومهمة تتعلق بحقيقة الصراط المستقيم والاسلام. إنّ الآية لا تحصر حقيقة الصراط

---

(١) الميزان، ج١.
(٢) آل عمران: ٥١ ـ ٥٣.





المستقيم بالتوحيد فحسب، بل تُضيف عبادة الله كمبدأ ثانٍ لها لأن اليهود قد افتقدوا هذا المبدأ بسبب عدم إيمانهم بالنبي عيسى. فهذه الآية تخرجهم من دائرة الصراط المستقيم وتصفهم بالكفار. أمّا الجزء الثاني لهذه الآية فيقول إنّ حقيقة الإسلام والمسلم تتجلى بالإيمان بالكتاب السماوي واتباع النبي محمد ﷺ.

هناك نقطة أخرى تفيد بأن التعريف الذي ذكرناه عن الصراط المستقيم لا يختص بعصر عيسى والشعب اليهودي؛ فمن لا يعتنق الإسلام بعد ظهور النبي محمد ﷺ يخرج عن دائرة الصراط المستقيم ويصبح بذلك كافراً. ذكرنا فيما سبق الآيات التي تدل على أن أهل الكتاب هم كفار.

ب) الإجابة النقضية

لو افترضنا أنّ وجود عبارة صراط مستقيم وبصيغة النكرة دليل على الكثرة، فان استعمالها مع «ال» التعريف والعهد دليل على الوحدة.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[1]

نرى في هذه الآية فضلاً عن ذكر عبارة الصراط المستقيم (معرّفة بأل التعريف) استخدام قيدين اثنين، وتفسر بعض الآيات هذين القيدين بأنهما اليهود والنصارى، وتصرح بأنهما خرجا عن الصراط المستقيم.

أما النقطة الثانية، فإن الآيات الأخرى تفسر الصراط المستقيم ـ وتطرقنا إلى هذا الموضوع سابقاً ـ منها لفظة الإسلام المعرفة بـ ال في الآية الشريفة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

(1) الفاتحة: ٦ ـ ٧.



ج) الخلط بين تنوين التنكير والتفخيم

هناك مسألة أدبية مفادها أنّ التنوين في الصراط ليس بتنوين التنكير كي تُستنبط الكثرة منه بل إنّ التنوين هو تنوين التفخيم، شأنها شأن تنوين صراط في الآية ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] إنّ تنكير لفظة «صراط» في هذه الآية لايعني كثرة الصراط وأنّ الله على أحدها. ومعلومٌ أنّ تنوين التفخيم يستخدم للتعبير عن العظمة والشأن[2].

د) الخلط بين الإسلام السابق والاسلام المحمدي ﷺ

ظهر لنا بوضوح ضعف استناد أنصار التعددية بالآيات السابقة، وأنّ البحث حول ورود عبارة صراط مستقيم بصيغة النكرة على لسان الأنبياء السابقين يخرج عن بحثنا لأنّ البحث لا يدور حول الطرق المستقيمة قبل الإسلام بل بعد ظهور الإسلام.

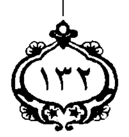
هـ) وجود الدلائل

أمّا النقطة الثانية فهي أنّ الإسلام هو المراد، في الآيات التي تؤيد سير النبي على صراط مستقيم (اللفظ بشكل نكرة)، وأمّا الدليل فهو الآيات الأخرى والآية الثالثة من سورة يس[3] (انظر إلى الآيات السابقة عليها واللاحقة لها) حيث يقسم الله بالقرآن أنّ القرآن كتاب النبي محمد ﷺ ويدعو كافة الناس حتى أهل الكتاب إلى الإسلام. وبصريح العبارة يعتبر أهل الكتاب من الكفار ويصف نفسه بالكتاب المهيمن ثم يذم ويؤنب

(١) هود: ٥٦.

(٢) راجع تفسير الميزان ج٥ ص٢٤٦ واية الله معرفت، جامعه مدني، ص١٣٢.

(٣) ﴿يسٓ * وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾.



الرافضين للاسلام ويعدهم بالعذاب لأنهم أعرضوا عن الإسلام وهم يعرفون حقيقة الإسلام.

فضلاً عن الآيات نفسها فإن النبي محمداً ﷺ باعتباره صاحب الشريعة والسائر على الصراط المستقيم، يؤكد في عدة روايات نقلت عنه، على حصر الصراط المستقيم بالاسلام. نكتفي بذكر مثال واحد: ينقل ابن مسعود عن النبي بأنه رسم خطاً مستقيماً وقال هذا سبيل الرشد ثم رسم خطاً في اليمين وخطاً في الشمال وقال هذه طرق وسبل يشرف عليها شيطان يدعو إليها. ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[1].

هل بالإمكان تفسير هذه الآية بأنّ هناك طرقاً مستقيمة نظراً إلى الآيات التي تسبق الآية وتليها، وتفسير النبي للصراط المستقيم لمجرد ذكرها بصيغة النكرة؟!

الدليل الرابع: التوحيد والعمل الصالح، معيار الهداية

الدليل الرابع القرآني الذي يستند إليه أنصار التعددية يتمثل في تمسكهم بآيات تحصر معيار الهداية والفلاح في ثلاثة أصول عامة، وهي الإيمان بالله والمعاد والعمل الصالح[2]، ولايهتمون بالقيود الأخرى كاعتناق دين خاص كالاسلام. فمن البديهي لو آمنوا بهذه المعتقدات فإنّ عليهم الإشارة إلى الآيات القرآنية، في غير هذا تصبح الحالة إغراء بالجهل، وهذا ما يستحيل وقوعه من جانب الخالق الحكيم والعليم. بناءً على ما تقدّم، لو كان أتباع الأديان الأخرى على اعتقاد بالمبادئ الثلاثة الآنفة الذكر، سيصنفون ضمن أهل الهداية والفلاح. ونشير إلى الآيات القرانية التي يستندون إليها:

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) يذكر ان الإيمان بالتعاليم الدينية كالإيمان بالغيب والملائكة والكتاب والنبوة، تشكل فروع الأديان.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[3]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4]

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾... ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[5]

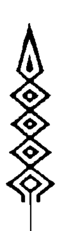
يركز السيد بهاء الدين خرمشاهي بصورة خاصة، على تلك الآيات كما يعتبر الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران بأنها حول الإلهيات العالمية ويعبّر عنها بالبيان أو المادة الواحدة ويقول إنّ روح وجوهر الدين والإيمان يتلخص في كلمة واحدة[6]. ومع هذا هو يقبل بأصل النسخ في تلك المقالة كأصل إسلامي مسلَّم به ويرى أنّ الآية لها غاية واحدة، ويقول في عبارة وجيزة:

هي في رؤية الإسلام والمسلمين من القدماء والمحدثين، دعوة إلى الحد الأدنى[7].

---

(١) البقرة: ٦٢.
(٢) البقرة: ١١٢ .
(٣) آل عمران: ٦٤.
(٤) الحجرات: ١٣.
(٥) البقرة: ١٧٧
(٦) خرمشاهي،بهاء الدين: قران پژوهي، ص٥٤٩.
(٧) المصدر نفسه، ص٥٥٣.





بينما يرفض أصل النسخ في بحث آخر[1] ويرى أن الآية تدعو إلى الحد الأكثر أي أنّ الفلاح يتحقق في كل الأديان. ويكتب عند شرحه الآية السابقة والآية الـ ١٢ من سورة الحجرات:

إنّ الله لا يحصر معيار التقرب في اعتناق دين أو مذهب خاص بل إنّ معيار الفلاح والتقرب إلى الله هو القيام بالعمل الصالح أي التقوى، هذا الخطاب موجه إلى كافة الشعوب والقبائل، وينبغي القول إنّ الله ينظر إلى التوحيد والإيمان كأصلين مسلّمين ولا يتحدث عنهما[2].

ثم يستنتج من بحثه حول الآيتين والآيات الأخرى هذه النتيجة: أننا لو جمعنا بين مضمون الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران وآية الشعوبية والآيات الأخرى التي تتحدث عن الفرق المختلفة لأهل الكتاب، يظهر لنا أننا لو أردنا البحث في الآيات القرآنية وأحكامها حول الإلهيات العالمية التي هي محل توافق كافة المؤمنين على وجه المعمورة، لبلغنا أنها تتجلى في الإيمان والعمل الصالح.

لنسأل: ألا يفلح من يعتقد بالتوحيد مخلصاً طوال حياته، بغض النظر عن مذهبه[3]؟

يذهب الدكتور محمود بينا إلى أنّ كافة الأديان تشترك في الأصول الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد؛ لهذا تؤمن بالتعددية، ثم يستند إلى دعم ادعائه إلى عدّة آيات تشير إلى مدح وعلو شان أهل الكتاب، سنشير إليها في المبحث القادم[4].

---

(١) قرآن وإلهيات جهاني، بينات، عدد١٧، ص١٧٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) السماوات السبع عددا ص٨.



تفسير الآية الـ ٦٢ من سورة البقرة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

سنفسر الآية ونتأمل فيها كي يتبين ضعف ادعاء أنصار التعددية:

أ) الاهتمام بأسباب نزول الآية (تأييد الإيمان قبل الإسلام)

لكي ندرك معنى ومفهوم عبارة ما، من الضروري الاهتمام بعدة مبادئ، منها الزمن والمخاطَب ودافع المتحدث. لم يأخذ أنصار التعددية، مع الأسف، هذه المبادئ بعين الاعتبار، بل صبوا اهتمامهم على الترجمة اللغوية واللفظية (بصورة انتقائية) للآيات.

إنّ الاهتمام بأسباب نزول هذه الآية يعطينا المعنى والمفهوم الحقيقي للاية. قيل حول سبب نزول الآية إنّ سلمان الفارسي كان في بداية أمره مجوسياً ثم اعتنق المسيحية برفقة ابن الحاكم على يد راهب نصراني. ثم ذكر هذا الراهب علائم نبي الإسلام الذي سيظهر لاحقاً. عندما سمع سلمان بظهور النبي في مكة التي كانت إحدى علائم النبي الموعود أسرع نحو تلك البلاد وعندما رأى أنّ العلائم التي ذكرها الراهب تتوافر في نبي الإسلام اعتنق الإسلام، وقد سأل النبي حول مصير الراهب الذي توفي فقال بعض الصحابة بأنه كافر، فنزلت هذه الآية[1].

بناءً على ما تقدَّم فإن الآية تتعلق بإيمان أهل الكتاب حيث كانت مبادئ الأديان الثلاثة في دينهم ووافتهم المنية، فإن الآية ليس لها صلة ببقاء الأديان على أحقيتها. هذا هو التفسير الذي قدمه الألوسي[2] وسيد قطب[3]، كما ينسب الفخر الرازي هذا التفسير إلى ابن عباس[4].

---

(١) للمزيد راجع: جامع البيان، مجمع التبيان، ذيل الآية الـ ٦٢.

(٢) تفسير روح المعاني ج١ ص٢٧٩.

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج١ ص٩٦.

(٤) بهذه العبارة إنّ القصد من الذين آمنوا هم المؤمنون الصادقون كالراهب البحيري وأهل=



ب) ازالة التوهم عن كون العناوين معياراً

إنّ التفسير الثاني لهذه الآية يرنو إلى إزالة الوهم القائل إنّ معيار الهداية ودخول الجنة لاينحصر في دين كاليهودية والمسيحية كما توهم اليهود والنصارى[1]، بل إنّ معيار الهداية والتقرب إلى الله هو الأصول الثلاثة التي ذكرت سابقاً. لكن الآية لا تتحدث عن تلك الأصول الثلاثة وإنها تتحقق في أي من الأديان.

بعبارة ثانية إنّ الآيات بصدد الحديث عن المبادئ الثلاثة للتقرب إلى الله والنجاة. لكن ما هي ميزات ومتطلبات الإيمان بالله والعمل الصالح؟ هل الإيمان بالله يستلزم تصديق كافة الأنبياء، ومنهم النبي محمد ﷺ؟ لا تجيب الآية عن هذه الأسئلة، وعلينا البحث عن الإجابة في الآيات الأخرى.

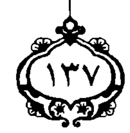
يدافع العلامة الطباطبائي عن هذا التفسير، ثم لكي يؤيد قوله بأن القصد من اليهود والنصارى والصابئة ليس ما ورد في الآية من عناوين، يذكر بأنه تم حذف ضمير منهم من صلة موصول الموجود في بداية الآية ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ كي يتبين الفرق بين صنفين من أهل الإيمان.

ج) تفسير معنى الإيمان بالله

ثمة من يعتقد أن شرط الهداية والفلاح هو المعايير الثلاثة المذكورة آنفاً، منها الإيمان بالله، ولو آمن أهل الكتاب بالله فانهم يفلحون. لكن الحديث هنا يتمحور حول التأكد من إيمانهم الحقيقي بالله لأن الإيمان الحقيقي هو التسليم أمام الله ورسالته كما تمت البشارة في التوراة والإنجيل بظهور نبي الإسلام وطلب من أتباعها أن يعتنقوا الإسلام. فلو تحقق هذا

=الكتاب هم اليهود والصابئة من بقوا على دينهم المحرف. راجع التفسير الكبير ج٣ ص٥٠٤.

(١) ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا﴾ البقرة: ١٣٥.



الطلب وعُمل به فيصبح أهل الكتاب من المؤمنين الحقيقيين، وفي غير هذه الحالة لا يمكن الادعاء بأنهم مؤمنين حين عصوا أمر الله.

هناك آيات عديدة تكفّر آهل الكتاب وهي تثبت عدم إيمانهم. على سبيل المثال، تصف الآية التي تأتي بعد حين من يؤمنون ببعض الأنبياء وينكرون نبوة البعض، كنبي الإسلام بأنهم الكفار الحقيقيّون وتعدهم بعذاب مهين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[١]

وفقا لهذه الرؤية إنّ الإيمان بالله يتخذ معنىً عاماً يشتمل على الإيمان بالأنبياء ومنهم نبي الإسلام، هذا هو التفسير الذي أيّده أغلبية المفسرين كـ الزمخشري[٢] والمراغي[٣] والشوكاني[٤].

د) تفسير معنى العمل الصالح

هناك من يعتقد أنّ المعيار الثالث للفلاح أي العمل الصالح ليس له معنى عرفيّ، بل له معنىً دينيّ خاصّ هذا يعني أن فلاح الانسان مرهون بالعمل الصالح الذي يؤيده الله. بمعنى آخر على أتباع الشرائع المختلفة ان يعملوا عملاً صالحاً فضلاً عن إيمانهم بالله والمعاد. لكن يضع القرآن للعمل الصالح إطاراً وهو مطابقته مع الدين والنبي في كل عصر.

السبب راجع إلى أنّ القرآن وفي عدة مواقف يكفر أهل الكتاب ويصف

(١) النساء: ١٥٠ ـ ١٥١.
(٢) الكشاف، ج١، ص١٤٦.
(٣) تفسير المراغي، ج١، ص٣٤.
(٤) تفسير فتح، ج١، ص٧٨.



أعمال الكفار بالسراب[1] وظلمات البحر[2] والرماد أمام العواصف[3] فلا يمكن الادعاء أن أعمالهم صالحة، وهم يسيرون على الصراط المستقيم.

يستند بعض المفكرين المعاصرين[4] لتأييد ادعائهم إلى دليل آخر وهو عدم تكرار حرف الواو في «من آمن» ونستنتج أنّ معيار تحقيق السعادة هو الإيمان بالله والمعاد والعمل الصالح، بغض النظر عن دين ومذهب الشخص، والذي يتبلور في كل عصر بشكل خاص. يتجلى العمل الصالح في عصر المسيح باتباعه كما الحال عند ظهور نبي الإسلام. ثم سيطعن في إيمان أهل الكتاب لرفضهم الأصل الثالث، وهو قبول الإسلام، ولا تشملهم قاعدة «وعمل صالحاً» كي نستنتج أحقية دينهم من تلك الآية.

هـ) التفسير بالآيات الأخرى

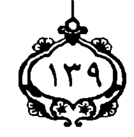
ما ذكرناه من تفاسير يعطي صورة واضحة عن معنى ومفهوم الآية الشريفة. لكن التفسير المهم والرئيس الذي لا يترك مجالاً للشك هو تفسير الآية بوساطة الآيات الأخرى وسنأتي بالبحث عنها بعدئذ.

هناك الكثير من الآيات تصف أهل الكتاب بالكفار لأنهم يكتمون ظهور الإسلام ولم يعتنقوه، وتهددهم بالعذاب في الآخرة وتؤكد أنّ سبيلهم للسير على الصراط المستقيم هو اعتناق الإسلام، كما تصف الآية الـ ٦٨ من سورة المائدة القرآن بالمهيمن و(الآية الـ ٤٨) وتضيف أنّ الأهواء النفسية تحول دون اعتناقهم الإسلام (الآية الـ ٤٩) ثم تذكر بأنّ شرط دخولهم الجنة وغفران ذنوبهم هو اعتناق الإسلام (الآية الـ ٦٥).

يتقل ابن عباس أنّ الآية تلك نسخت بوساطة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا

---

(١) النور: ٣٩.
(٢) النور: ٤٠.
(٣) ابراهيم: ٨.
(٤) الميزان تفسير آية ٦٢ من سورة البقرة.



﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ من الأرجح أن لا يكون النسخ هو النسخ الاصطلاحي كما استنتج بعض المفسرين، بل القصد هو التفسير القائل بأنّ لهذه الآية هيمنة على الآية الأخرى وآيات غيرها لا مجال للإشارة إليها.

نتساءل: هل يمكن تفسير الآية بأنها تدل على التعددية، ونحن نمتلك التفاسير المعتبرة والموافقة لظاهر الآية، ثم رفض التفاسير والوقوع في شراك عدم الملاءمة مع الآيات الأخرى.

تفسير الآية ١١٢ من سورة البقرة

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أوضحنا الضعف الذي يعتري استدلال أنصار التعددية بالآية المذكورة، ونكتفي هنا بالتطرق، بصورة موجزة، إلى بعض النقاط.

أ) إزالة الوهم حول كون العناوين معياراً

نظراً إلى الآية السابقة[1] حيث ذهب اليهود والنصارى إلى أنهم هم فقط الذين يدخلون الجنة، ودليلهم هو خطاب الآية الموجهة لليهود والنصارى، فهذه الآية تأتي لتجيب عن إشكاليتهم تلك، فترى بأنّ المعيار العام للحصول على الثواب الإلهي هو الإسلام الحقيقي والعمل الصالح «وهو محسن» وهذا هو تفسير العلامة الطباطبائي للآية[2].

ب) تفسير الإسلام

نرى هذه الآية أنّ طريق الفلاح يمر عبر التسليم لله ﴿من أسلم وجهه لله﴾ كما أشرنا في الصفحات السابقة إلى أن للتسليم والاسلام وجوهاً

(١) ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾.
(٢) الميزان ج١ ص٢٥٨.



تتجلى في كل عصر وزمان بصورة خاصة، وتتمظهر في عصر الإسلام بالانصياع والتسليم للإسلام.

ج) أخذ الآيات السابقة بعين الاعتبار

إنّ الآيات السابقة ترشدنا إلى المعنى والمفهوم للأية حيث تشدد على كفر أهل الكتاب ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ و﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ وهناك العشرات بل المئات من الآيات الأخرى تفسر الآية بأفضل صورة.

تفسير الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

نشير إلى عدة نقاط في تفسير الآية:

أ) الدعوة إلى الحد الأدنى

هناك الكثير من الأدلة تدعو أهل الكتاب إلى المبدأ المشترك أي التوحيد، وأحد هذه الأدلة هو الاهتمام بشأن نزول الآية.

رُوي في أسباب نزول الآية أنّ نصارى نجران كانوا يرفضون اعتناق الإسلام لعدة أسباب، وكانوا يجادلون نبي الإسلام في هذا الموضوع والموضوعات الأخرى منها شخصية النبي عيسى، والنتيجة أنهم يزدادون عناداً.

يدعو الله في الآية السابقة، النصارى إلى المباهلة، قَبلَ النصارى بالمباهلة بداية الأمر لكن رفضوها في ما بعد عندما شاهدوا الأدلة التي



تنص على أحقية الإسلام وهزيمتهم في المباهلة، فقبلوا في نهاية المطاف بدفع الجزية والرضوخ للحكومة الاسلامية.

إنّ الآية نزلت بعدما رفضوا المباهلة وقبلوا بدفع الجزية.

كما أنّها تؤكد على أنّ يا أهل الكتاب، يا من رفضتم الحق الأصيل والكامل وهو التوحيد ونبوة النبي محمد ﷺ التزموا بالمبدأ الأول وهو التوحيد ولا تنحرفوا عن الطريق الصواب. وتدل على أنّ الدعوة إلى التوحيد كحد أدنى لها دلالة واضحة ولا يمكن الطعن بها كما اعترف أنصار التعددية بهذا الموضوع، إنها في رأي المسلمين دعوة إلى الحد الادنى(١).

ب) الأخذ بعين الاعتبار الآيات السابقة واللاحقة

تؤيد التفسير الذي ذكرناه آيات أخرى من القرآن نشير هنا إلى الآيات السابقة عليها واللاحقة لها كي يتبين أنه ينبغي الاهتمام بالآيات السابقة واللاحقة عند التفسير.

في الآيات السابقة يؤنب الله ونبيه اليهود لرفضهم الدين الحق ويكفرهم(٢) وفي الآيات اللاحقة يكفر الله أهل الكتاب، وينذرهم بالعذاب الإلهي لرفضهم الإسلام عن علم ووعي(٣).

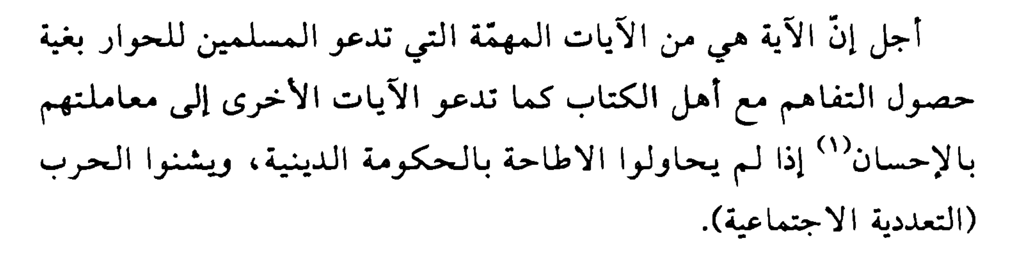
من الواضح أننا لو ذهبنا إلى أنّ دين أهل الكتاب هو محل التأييد بصورة كاملة، ففي عرض الإسلام ستفقد الآيات الأخرى معناها ومفهومها.

---

(١) خرمشاهي، بهاءالدين: قران پژوهي، ص٥٥٣.
(٢) الآيتان: ٥٤ ـ ٥٥.
(٣) الآيات: ٦١ ـ ٧٠ ـ ٧١.



ج) الخلط بين التعددية الدينية والاجتماعية



أجل إنّ الآية هي من الآيات المهمّة التي تدعو المسلمين للحوار بغية حصول التفاهم مع أهل الكتاب كما تدعو الآيات الأخرى إلى معاملتهم بالإحسان[1] إذا لم يحاولوا الاطاحة بالحكومة الدينية، ويشنوا الحرب (التعددية الاجتماعية).

فنقول لمن يعتقد أن حصول التفاهم والتعايش السلمي يحصل في ظل الاشتراك في مبدأ التوحيد ويأخذ الطابع الديني والإلهي وأنّ الآية تعترف بأحقيّة الأديان الأخرى في موازاة الإسلام، نقول إنّ الآية لا تدل على هذا الموضوع بل ونظراً إلى أسباب النزول والآيات السابقة واللاحقة فإنها تدل على خلاف ذلك أي حصر الصراط المستقيم بالإسلام فيحدث الالتباس بين التعددية الاجتماعية والدينية.

تفسير الآية الـ ١٣ من سورة الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

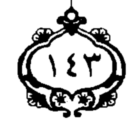
يتضح من خلال الموضوعات السابقة، الضعف وعدم ارتباط ما يستند إليه دعاة التعددية بالآية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سنشير إلى نقطتين:

أ) ذكر قاعدة اخلاقية

إنّ الآية تدل على قاعدة أخلاقية وإنسانية للمسلمين، وهناك اتفاق في أسباب نزول الآية حيث كان يتفاخر بعض المسلمين إمّا بامتلاكهم الثروة أو لون البشرة أو إنّهم أحرار، فنهى النبي عن التفاخر بمثل هذه الاشياء،

---

(١) االممتحنة: ٨.



إنّ هذا التفاخر عمل ينافي الانسانية فنزلت الآية للتأكيد على كلام النبي. فمن الواضح أنّ الآية لا ترتبط بموضوع الأديان وتأييد أحقيتها.

أمّا الدليل على عمومية الآية فهي عبارة «يا أيّها الناس» لأنّه مبدأ عام يتحدث عن المساواة بين البشر في الخلقة ويمنع التفاخر فضلا عن هذا إنّ خطاب الآية يا أيّها الناس يتضح أكثر نظراً إلى عبارة «من ذكر وأنثى».

ب) تفسير التقوى

تذكر الآية أنّ معيار الأفضلية هو التقوى حيث لها مكانة أعلى من الإسلام والإيمان. وقد قلنا إنّ حقيقة الإسلام والإيمان هي التسليم أمام الله والنبي محمد ﷺ، أمّا التقوى فهي أعلى مكانة منه كما يذكر القرآن في بداية سورة البقرة: إنّ أحد أوصاف المتقين هو الإيمان بالنبي والقرآن.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[1]

تفسير الآية الـ ١٧٧ من سورة البقرة

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾

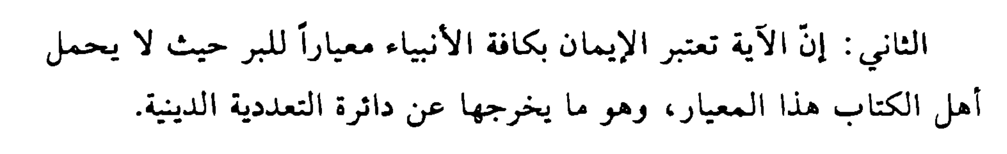
لا يمكن أن تؤيد هذه الآية ادعاء التعددية لأسباب عدّة، أوّلها أنّ الآية تتحدث عن الخلاف الدائر بين أهل الكتاب والمسلمين حول قبلة المسلمين، عندما انتقد وشكك أهل الكتاب في اتخاذ المسملين القبلة الأولى أي بيت المقدس فنزلت الآية للردّ على هذا النقد وتعبر عن موضوعين.

الأول: القبلة تُطرح هنا كرمز فلا دخل لها بحقيقة العبادة والبر.

---

(١) البقرة: ٤.





الثاني: إنّ الآية تعتبر الإيمان بكافة الأنبياء معياراً للبر حيث لا يحمل أهل الكتاب هذا المعيار، وهو ما يخرجها عن دائرة التعددية الدينية.

الدليل الخامس: امتداح أهل الكتاب ووعدهم بالثواب وحجب العذاب

من المستندات القرآنية الأخرى التي يتمسك بها دعاة التعددية، آيات تمدح أهل الكتاب في الظاهر وفي بعض الأحيان تصفهم بالمؤمنين وأهل العبادة وأصحاب الجنة وأنهم لا يدخلون النار.

وفقاً للآيات السابقة فإنّ التوحيد والعمل الصالح هما المعياران للهداية، وبما أنّ أهل الكتاب كانوا يؤمنون بالتوحيد ويعملون العمل الصالح فأصبحوا من مصاديق الآيات بصورة غير مباشرة، كما تذكر بعض الآيات أهل الكتاب بالاسم. لكن هناك آيات أخرى تصرح بأنّ أهل الكتاب مؤمنون وهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار. نستنتج من مجمل هذه الآيات أنّ شريعتهم لها أحقية ولو لم يصح هذا القول لكانت تنفي هذه الصفات.

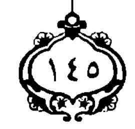
أ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١)

ب: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٢)

ج: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾(٣)

---

(١) آل عمران: ١١٣ ـ ١١٤.
(٢) آل عمران: ١٩٩.
(٣) المائدة: ٦٩ .



﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١]

يكتب بهاء الدين خرمشاهي مشيراً إلى الآيتين الأوليَيْن: أنّ القرآن يعترف بالديانتين بما أنهما من الأديان التوحيدية والإلهية والابراهيمية كما كانت في بداية أمرها[٢].

ثم يشير إلى الآيات ٦٢ و٨٢ و٨٣ من سورة المائدة فيكتب: لو فرضنا أنّ القرآن نسخ المسيحية وقضى عليها فهل يمكن أن يذكر مثل هذه الآيات، تلاحظون أنّ هناك فرقة ناجية يشكلها القساوسة والرهبان النصارى كما يصرح القرآن[٣].

إنّ القرآن يطلق على بعضها الأمة المقتصدة والأمة القائمة[٤].

يشير الدكتور محمود بينا إلى الآيتين الـ ٨٢والـ ٨٣ من سورة المائدة ويقول: عندما نزل القرآن على النبي كان هناك قساوسة يتلون القرآن ويبكون ويقولون ربنا اكتبنا مع الشاهدين. يقول الله سنجزي عملهم. هذا يعني أنّ الله قبل عملهم، لذلك فإنّ قضية الإسلام غير مطروحة هنا. يمثّل هذا لنا درساً، درساً في كيفية تعامل القرآن مع الأديان الأخرى. لو قرأ المسلم كتاب «بهگوت كيتا» وقال ربي هذا أيضاً نازل منك، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فلم يكن هناك ضرورة لترك الإسلام[٥].

---

(١) المائدة: ٨٢ ـ ٨٤.

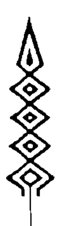
(٢) خرمشاهي، بهاءالدين: المصدر السابق نفسه.

(٣) بينات عدد ١٧، ص١٧٤ ـ ١٧٥، وخرمشاهي نفس المصدر، ص٥٤٣ ـ ٥٤٤.

(٤) خرمشاهي، بهاء الدين: نفس المصدر، ص٥٤٥. كما يستند إلى الآية الـ ١١٣ من سورة آل عمران.

(٥) هفت اسمان، عدد ١ ص٢٣و٢٧.





تحليل وتقييم

إنّ الآيات الآنفة الذكر هي من الأدلة الضعيفة التي يستند إليها أنصار التعددية. والمشكلة الرئيسية هي عدم التركيز على فحوى الآيات المذكورة آنفا وكذلك الآيات التي تسبقها وتليها والتي تتناول الملاحظات التالية تَبْيان ضعف استدلالهم.

أ) المؤمنون من أهل الكتاب هم الذين انتظروا ظهور الإسلام واعتنقوه

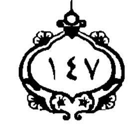
تؤكد الآيات القرآنية أنّ التوراة والإنجيل كانا قد بشّرا أهل الكتاب بظهور الإسلام، وهم كانوا على معرفة كاملة بمواصفات النبي عند ظهوره في مكة، وقد وجد أهل الكتاب، وبالذات علماؤهم، العلامات الدينية التي كانوا قد بُشِّروا بها حول ظهور النبي بأنها تصدق على نبي الإسلام أو كما يعبر عنها القرآن يعرفونه معرفة أبنائهم، ومع هذا أخذ أغلبية أهل الكتاب ولا سيّما اليهود منهم أسلوب المعارضة والعناد بدلاً من الإيمان بالنبي، ووصل الأمر إلى درجة محاربة النبي، فوصفهم القرآن في عدة آيات بهذه التعابير: «أكثرهم فاسقون» و«أكثرهم ظالمون» و«أكثرهم كافرون» بيد أنّ هناك أشخاصاً ذوي فطرة سليمة في صفوفهم، بعدما سمعوا الآيات القرآنية وشاهدوا معجزة الإسلام ووجدوا علائم النبي الموعود تنطبق على نبي الإسلام، آمنوا به وأصبحوا من المؤمنين المخلصين حيث أضحوا من المتهجّدين والراكعين والساجدين.

هناك روايات تؤيد مدّعانا هذا[1] كما تؤيده الروايات التي تحدثت عن أسباب النزول وذكرها مفسري صدر الإسلام مثل ابن عباس[2].

---

(١) يصف الإمام الصادق المؤمنين الحقيقيين من أهل الكتاب بأنهم المنتظرون مجيء محمد ﷺ.راجع: الميزان، ج٦ ص٨٥.

(٢) راجع: التفسير، ج٣ ص٥٦.





يتفق المفسرون عند الحديث عن أسباب نزول تلك الآيات على أنّ الآيات تتحدث عن اعتناق بعض أهل الكتاب الإسلام مثل عبدالله بن سلام أو النجاشي حاكم الحبشة ومبعوثيه. حيث اتهموا بالكفر لكن القرآن يؤيد إيمانهم ويبشرهم بالجنة ويصفهم بالأمة المقتصدة والأمة القائمة ومنهم المؤمنون.

فضلا عن أسباب النزول التي قد تثير الشبهة لدى أنصار التعددية، تثبت نفس الآية والآيات الأخرى التي تسبقها وتليها القول المذكور آنفاً وسنشير إليها لاحقا.

تسبق الآية الأولى (آل عمران ١١٣ و١١٥) آيتان تصف دين الإسلام بأنه أفضل دين أنزل لأفضل أمة ويضيف لو آمنوا لكان خيرا لهم لكن قليلاً منهم من آمن ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . . وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾.

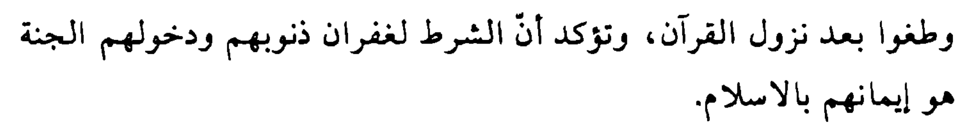
تؤكد الآية الثانية (آل عمران ١٩٩) أن من يؤمن من أهل الكتاب فإنه يؤمن بالله والقرآن﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾.

أمّا الآية الثالثة (المائدة ٦٩) التي ورد فيها كلمتان «أقاموا ولأكلوا» فتخبر عن الماضي، فلو فعلوا هذا لحدث هذا، ثم لو اشتملت على عصر الإسلام ينبغي القول إنّ وجود التوراة والإنجيل يعني فقط حفظ الأصول وإقامة الأحكام والتعاليم الكاملة وغير المنسوخة ولا يعني الاحتفاظ بالبعض وترك الآخر. إنّ ظهور الإسلام وأخذ ميثاق النبيين هما من الأصول والأركان الهامة في الشرائع السابقة، ووفقاً للقرآن فإن العمل بالتوراة والإنجيل بدون الاهتمام به ليس إلا الطعن بهما[1].

أضف إلى هذا أنّ الآيات التي تسبق هذا التفسير ترى أنهم كفروا

(١) راجع: الميزان، ج٦، ص٣٧و٣٨؛ الكشاف، ج١، ص٦٥٨.




وطغوا بعد نزول القرآن، وتؤكد أنّ الشرط لغفران ذنوبهم ودخولهم الجنة هو إيمانهم بالاسلام.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

أمّا الآية الرابعة (المائدة٨٢ ـ ٨٣) والتي غض أنصار التعددية النظر عن الآيات التي سبقتها والتي تلتها عن عمد فهي زاخرة بالأدلة والشواهد التي تؤيد ادعاءنا ونشير إليها هنا.

إنّ الآية تتحدث عن المقارنة بين عداوة اليهود والنصارى للإسلام؛ بداية الآية تعتبر اليهود والمشركين كأشد الأعداء للمسلمين ثم تعتبر أنّ النصارى هم أقرب إلى المسلمين حبّاً ومودة وتبحث عن الأسباب فترى أنّ الفارق هو أنّ اليهود يتميزون بالتكبر، أمّا علماء النصارى وزعماؤهم الروحيون فيتسمون بالخشوع والتواضع، وهذا ما يفسر ترحيب النصارى في صدر الإسلام مقارنةً باليهود والمشركين(١).

أمّا النقطة اللافتة للنظر فهي الآية التي تليها، إنّها تصف علماء النصارى بالمتواضعين وهذا ما يهيئ الأرضية الملائمة لاعتناقهم الإسلام وتقول: عندما سمع القساوسة كلام الله الذي أنزل على النبي فاضت عيونهم دمعاً لأنهم وجدوا علامات النبي الموعود تنطبق على النبي محمد وأنهم كانوا منذ قرون ينتظرون ظهوره.

كما تضيف الآية بأنهم لا يكتمون حقيقة النبي الموعود ويقولون: ربنا آمنا ويطالبون الله «فاكتبنا من الشاهدين» هذه الآيات غاية في الصراحة ثم لم يكتف القساوسة بهذه العبارة بل يقولون متعجبين ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

إنّ الله يؤيّد إيمانهم ويعتبر الكافرين والمكذبين هم أصحاب الجحيم،

---

(١) الميزان، ج٦، ص٨٠ ـ ٨٢.



إنّ التحدث أكثر حول حصر الصراط المستقيم بالاسلام وعدم استنباط القراءة التعددية يعني ايضاح ما هو واضح.

ب) الاخبار عن الماضي

أمّا التفسير الثاني الذي يوضح حقيقة المؤمنين من أهل الكتاب ولا يعتبر دليلاً على التعددية فهو التأكيد على هذه النقطة وهي أنّ جُلَّ العقائد الدينية والاعتقاد بالخالق عند أهل الكتاب بعد النبي موسى وعيسى، تعرضت للتحريف.

وذهبوا إلى أن عزير وعيسى إبنا الله كما خرجوا عن الاعتدال في مجال العمل والتقوى واتخذوا طريق الفسق والفجور إلا قليلاً منهم حيث لم يصبهم التحريف وعملوا عملاً صالحاً لهذا يخاطبهم القرآن بالكافر والفاسق والظالم، ولكن عند مخاطبته للمؤمنين يستخدم مصطلحات «منهم أو قليل».

كما أنّ هنالك عدة روايات في هذا الشأن، حيث يقول الإمام علي عليه السلام مستنداً إلى ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ إنّ أهل الكتاب انقسموا إلى ٧٢ فرقة والأمة المقتصدة هي الفرقة الناجية[١].

يقول سفيان الثوري، وهو من المفسرين القدماء، إنّ أهل الكتاب هم المؤمنون الحقيقيون بموسى وعيسى في مشارق الأرض ومغاربها[٢].

بناءً على ما تقدَّم فإن الآيات الآنفة الذكر تدل على كفر وإيمان أهل الكتاب في تاريخ الأديان. أمّا عن إيمان وكفر أهل الكتاب مع ظهورالاسلام فهذا تفسره الآيات الأخرى والآيات اللاحقة.

---

(١) الميزان، ج٦، ص٨٥.
(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير ج٨، ص١٨٧.



ج) أهل الكتاب والمسلمون

أمّا التفسير الثالث الذي ينقله الفخر الرازي[1] فمفاده أنّ القصد من أهل الكتاب ليس اتباع النبي عيسى وموسى بل هو مصطلح عام يشمل المسلمين. تهدف الآية إلى ايضاح هذه النقطة وهي أهل الكتاب (المسلمين وغيرهم) ليسوا متساوين في مسير الهداية بل إنهم اجتازوا الدرجات العالية للهداية. أما البحث حول هذه القضية فلايدخل ضمن نطاق موضوع هذا الكتاب.

د) أهل الكتاب الصالحون وغير المعاندين

سبق أن قلنا إن أقلية من أهل الكتاب هم المؤمنون الحقيقيون، حفظوا إيمانهم الخالص طوال تاريخ اليهودية والمسيحية، وبقوا راسخين على شريعتهم؛ ليس هناك أدنى شك في إيمانهم قبل ظهور الإسلام وتصدق الحالة على من آمنوا بالاسلام بعد ظهوره.

السؤال الذي يطرح نفسه يدور حول إيمان أقلية من أهل الكتاب ممن كانوا قبل ظهور الإسلام من المؤمنين الحقيقيين (عقيدة وعملاً) لكنهم بقوا على دينهم لأسباب ما منها أنهم لم تصلهم رسالة الإسلام أو لم يعرفوا أحقية الإسلام لأسباب عدة ولم يعتنقوه لكنهم في نفس الوقت لم يعاندوه.

بيد أن القرآن يقبل إيمانهم ويعتبرهم من الصالحين حيث يجزون في الآخرة خيراً وثواباً.

كما تشير الروايات إلى وجود بعض هؤلاء الاشخاص في صدر الإسلام ممّن لم يكونوا من المعاندين[2] ويبدو أنهم موجودون في كلّ

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨٨.

(٢) عن الباقر عليه السلام: كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهى كبراؤهم عن ذلك. الميزان ج١ ص٢١٦.



العصور والقرون. أشرنا في الفصل السابق إلى دليل هذه النظرية أي كون أهل الكتاب على عقائد صحيحة وقيامهم بأعمال صالحة.

نكتفي هنا بالاشارة إلى أنهم فرضاً لم يتلقوا الأدلة لاتمام الحجة، ولم تبلغ لهم الرسالة، أو لم يدركوا الإسلام لكي يُعرضوا عنه فيصبحوا كافرين، بل إنّهم كانوا صالحين طبقاً لشريعتهم وأصحاب عقيدة، ولذلك فإنّ أقصى ما يمكن اعتبارهم أنّهم مستضعفون و«مرجوون عند الله».

يقول الشهيد مطهري حول مصطلح المؤمنين من أهل الكتاب: لو نظرتم إلى المسيحية المحرفة وذهبتم إلى القرى والمدن هل ستجدون جميع القساوسة فاسدين وآثمين، أقسم بالله أن ما يقارب ٧٠ أو ٨٠ بالمئة منهم لديهم إيمان صحيح وإخلاص باسم المسيح ومريم، وتعاملوا مع الناس بمشاعر الصدق والتقوى، ليس الذنب ذنبهم، إنهم يدخلون الجنة والقساوسة أيضاً يدخلون الجنّة[١].

بعدما يتحدث بإسهاب عن الإيمان والكفر في كتابه القيّم «العدل الإلهي»[٢] يرى أن المسلمين وأهل الكتاب متساوون في تسميتهم بالإيمان والتقرب إلى الله والاخلاص في النية واستحقاقهم الثواب والجنة[٣].

هناك نقطة غابت عن أنظار دعاة التعددية وهي امتزاج الإيمان والاخلاص الفردي لأهل الكتاب واعتبار شريعتهم بأنها على حق. لقد قيل مراراً وتكراراً إنّ الصراط المستقيم والدين الإلهي الحق في عصرنا هو الدين الاسلامي المقدس. هذا القول لا يعني أنّ أهل الكتاب لم يكونوا مؤمنين وأصحاب عقائد وعمل صالح أبداً، بل إنّ النسخ يؤيد هذه النقطة. إنّ الشرائع السابقة هي منسوخة وعلى أتباعها أن يؤمنوا بالاسلام، أمّا في

---

(١) مطهري، الاستاذ الشهيد مرتضى: مجموعة أعمال ج٣، ص٤٣٩و٤٢٧.
(٢) مطهري، الاستاذ الشهيد مرتضى: عدل الهي، الفصل الأخير.
(٣) المصدر نفسه؛ ص٣٤٦ وقاموس القرآن ج٤ لفظة المستضعف، ج٥ لفظة العمل.





حالة جهلهم بمعنى الجاهل القاصر وليس المقصّر، فلا تبطل أعمالهم الحسنة بل لهم أجر عند ربهم.

يبدو ان الهاجس الذي ذكرنا والخلط بينهما هو احد الأسباب الرئيسية للالتفات حول التعددية وتفسير الآيات وفق التعددية، فلو قمنا بتفكيك هاتين المسألتين ستحل مشاكلنا[١].

الدليل السادس: كثرة الشهود في القيامة

من الأدلة القرآنية الأخرى التي يتمسك بها أنصار التعددية هي الاستناد إلى آيات تتحدث عن كثرة الشهداء في القيامة بين كل أمة، فإنّ وجود شاهد وهو إنسان صالح بين كافة الأمم دليل على أحقية مذهب وطريق تلك الأمم. إليكم بعض الآيات:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٢]

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾[٣]

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤]

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ﴾[٥]

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٦]

تدل الآيتان الأوليان على وجود شاهد في كل أمة والآيتان الثالثة

---

(١) سروش، دكتر عبدالكريم: صراطهاي مستقيم، ص٥١، خرمشاهي، بهاءالدين: بينات، عدد ١٧، ص١٧٦.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) الجاثية: ٢٨.

(٥) الاسراء: ٧١.

(٦) الزمر: ٦٩.



والرابعة تتحدثان عن وجود كتاب وإمام بين الأمة والآية الأخيرة تؤيّد كثرة الشهود في القيامة والقضاء العادل.

يكتب أحد الكتاب في البحث حول دلالة الآيات: نستنتج تأييد الأديان الأخرى بصورة ضمنية والقبول بكثرة الأديان من هذه الحقيقة، وهي أنّ القرآن يستخدم عدة مرات في وصفهم هذه العبارة بأنّ في يوم القيامة سيكون لكل أمّة نبي وشهيد يحضرون في المحشر كما ان الرسول يكون شاهداً على أمة الإسلام. ونستنتج من هذه الآية أنّ الإيمان والكفر لهما ملل ونحل، ولم تتحول الأديان كافة إلى دين عالمي واحد (الإسلام)[1].

نقد ورأي

نكتفي بنقطتين في نقدنا لهذا الرأي:

أ) الشهادة لرسالة الأنبياء

لابد من أخذ السؤال التالي بعين الاعتبار عند تحليلنا الآيات السابقة: ما هي الشهادة؟ لماذا يحضر الله البعض للشهادة في يوم القيامة؟

الإجابة عن هذا السؤال لها دور هام في تفسير الآيات، سيتضح عند مراجعتنا للآيات والروايات الأخرى. إنّ الله يسأل الأنبياء عن إبلاغ رسالتهم بشكل أفضل وهل أبلغوا الرسالة السماوية إلى الناس وبذلوا كل ما بوسعهم في هذا السبيل أم لا؟

بعدما يجيب الأنبياء بالإيجاب، يأتي دور الناس ولا سيّما الكفار ومن ارتكبوا الذنوب، فيوجه لهم السؤال وهو: لماذا كفروا على الرغم من وجود الأنبياء وإبلاغهم الرسالة الإلهية؟ كما نرى في الآية اللاحقة أنّ الخطاب موجّه إلى الشريحتين أي الأنبياء والناس.

(١) خرمشاهي، بهاءالدين: قرآن پژوهي، ص٥٤٨ ـ ٥٤٩.



﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]

كما يشير الامام علي عليه السلام في رواية حول توجيه السؤال للأنبياء[2].

هنا قد يتشبث الكفار لتسويغ كفرهم بشتى الذرائع، ولكي يبطل الله ذرائعهم يحضر الشهود كالملائكة والدين والكتاب والزمان والمكان وأعضاء الجسد. الانسان ليس وحيداً في القيامة بل يحضر معه شهداء.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[3]

أمّا سبب وجود مختلف الشهود في القيامة فهو أن لا يترك لهم مجالاً لإنكار الكفر والخطأ، وبالتالي الاعتراف بإبلاغ الرسالة الإلهية. من هؤلاء الشهود الأنبياء والناس الصالحون كي يعترفوا بتبليغ الرسالة الإلهية، وأنه كان لدى الناس الحرية لاختيار الكفر أوالإيمان بهدف تأييد تعذيب الكفار[4].

صحيح أنّ دعاة التعددية يتحدثون عن كثرة الشهداء في مختلف الأمم لكنهم يتجاهلون هدف الشهداء، ولا يعرفون أنّ شهادة الشهداء لتأييد رسالة الأنبياء هي وجه من القضية، أمّا الوجه الثاني فيدل على خطأ وعدم امتثال الكفار لأمر الله. الشهادة هنا تعني الحديث عن أحقية أمة أرسل إليها الأنبياء، وهناك قلة ممّن أطاعوهم بصورة كاملة وبلغوا الدرجات العالية، منها درجة الشهادة.

فالحديث هنا يتمحور حول تأييد أحقية أمّة أطاعت الرسول والحجة في زمنها، ويتجلى هذا في العصور السابقة على الإسلام بإطاعة نبيهم، وبعد ظهور الإسلام بإطاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

---

(١) الأعراف ٦.

(٢) تفسير نور الثقلين ج٢ ص٤.

(٣) ق ٢١.

(٤) الميزان ج١ ص٣٢٣ يذكر أنّ شهادة الشاهدين لا تنحصر بتبليغ الأنبياء بل تشمل أعمال الأنبياء ولا تعارض كثرتهم.





ب) تقييد عبارة (كل أمّة)

جميع المفسرين ـ المتقدمون منهم والمتاخرون ـ متفقون على أن لفظة كل أمّة تعني الأمّة صاحبة الشريعة ودين الإسلام[1]. بعبارة ثانية إنّ الله يتحدث من خلال الآيات السابقة عن وجود شهيد في الأمم التي أرسل إليها نبيّاً وشريعة آمن بها البعض وأعرض عنها البعض الآخر، لكن هل نسخت الشرائع السابقة أم لا؟ فهذه الآيات لا تتحدث عن هذه الأمور لأنّ محور الحديث في الآيات هو التعبير عن تأنيب الكفار وذكر أوصاف القيامة، منها السؤال من النبي والناس وإحضار الشاهد.

قد تطرح شبهة هنا، وهي إذا كان القصد من ذكر الأمّة هو الأمم التي سبقت الإسلام فهذه الآية تتحدث عن أحوال الأمم السابقة لكن خطاب الآية عام ومطلق يدل على تأييد أحقية كافة الأمم قبل الإسلام سواءٌ أُرسل لهم رسولٌ أم لا، وبالتالي إمكانية وجود أمّة حقة دون وجود نبي سماوي قبل الإسلام يمكن أن يعمم الحالة على عصر الإسلام وبعده.

أجيب عن هذه الشبهة بالقول إنّ الله أرسل لكل أمّة نبياً وفقا للكثير من الآيات فما من أمّة لم يُرسل اليها نبي كما تصرح الآيات التالية:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾[2]

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[3]

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[4]

قد تكون الآيات الآنفة الذكر دليلاً يؤيّد تفسير المفسرين لعبارة «كل أمّة» لانّه عند اعتبار الآيات المذكورة أي اعتبار كل أمّة لها نبي يتضح انه

---

(١) راجع: تفاسير مختلف، ذيل آيات موضوع بحث.
(٢) يونس: ٤٧.
(٣) النحل: ٣٦.
(٤) فاطر: ٢٤.



ليس بالإمكان أن نجد أمّة بلا نبي، وبالتالي يتم اختيار الشاهد من بين أتباع الأنبياء الحقيقيين.

أخيراً، لو نغض النظر عن الشواهد والأدلة السابقة فيتبين من الآيات الأخيرة أنّ في هذه الأمم ـ سواءٌ أرسل إليها رسول أم لا ـ أشخاصاً صالحين اتبعوا الرسول الذي أرسله الله واتبعوا رسولهم الباطني (العقل والفطرة) عندما لم يشاهدوا النبي المرسل فإنهم يستحقون أن يدخلوا الجنة وهم شهداء على الآخرين ممّن رفضوا اتباع النبي أو العقل أو الفطرة.

تلك الآية تؤيد اتباع الناس الأنبياء بحكم العقل والفطرة التي تؤدي إلى نزول الرحمة الإلهية والابتعاد عن العذاب، غير أنّ ابتعاد الرسالات الإلهية في إطار الشرائع لا تلحق بالمحرومين الضرر، وإنّ الآية لا تتحدث عن هذا، فيمكن البحث عن هذا الموضوع في الآيات الأخرى.

هذا الخلط في الموضوع المتمثل في أنّ كثرة الطرق المستقيمة تؤدي إلى النجاة، ويستحق بموجبه البعض نوال الثواب، يشبه خلط بعض المعارضين للتعددية ممّن يحاولون إثبات عدم أحقية دين ما من خلال فسق وفجور أتباعه[1]. على سبيل المثال يتمسكون بالآيات (أكثرهم فاسقون أو كافرون) في محاولة منهم لتبيين أنّ اليهودية والمسيحية ليستا على حق ولا يكترثون بنقطة هامّة مفادها أنّ أكثرهم لا تعني كلهم، وحتى لو ذكرت كلهم، فلا يمكن نسبة الفسق والكفر الذي يرتكبه أتباع الدين إلى الدين نفسه.

في الختام نشير إلى نقائص الاستناد إلى الآيات الثلاث الأخرى. إنّ الآية الثالثة (الإسراءالآية الـ ٧١) تدل فقط على حشر الأمم مع أئمتهم وأنّ مصطلح الإمام جاء في القرآن ليدل على أئمة الكفر والحق[2] ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾[3].

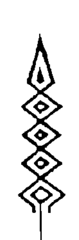
---

(١) فصلنامه كتاب نقد عدد٤ مقالة، مقاله نگاهي درون ديني به پلوراليزم، ص٢٥٤.

(٢) الميزان ج٣ ص١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) التوبة ١٢.





الآية الرابعة (الجاثية الآية الـ ٢٨) تدل كسابقتها، على دعوة كافة الأمم إلى الكتاب، ومن خلال الاهتمام بالشواهد منها «تجزون» يتبين أنّ الكتاب هو الدعوة إلى الحساب والعقاب[١].

الآية الخامسة (الزمر الآية ٦٩) تدل على أنّ الكتاب هو الأعمال والحساب ثم لم يصرح فيه بأنّ لكل أمّة كتاباً مستقلاً[٢].

الدليل السابع: جزية أهل الكتاب

يستند بعض دعاة التعددية، لتأييد أحقية اليهودية والمسيحية، إلى قبولهم الجزية وعدم إجبارهم على اعتناق الإسلام، ويقولون بما أنّ القرآن ترك لأهل الكتاب الحرية في الحرب أو الجزية، فهذا يؤيد أحقية دينهم.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣]

هناك من كتب في شرحه لهذه الآية: أمّا الدليل الآخر على أنّ القرآن يعترف بأهل الكتاب فيتمثل في هذه الحقيقة القرآنية والتاريخية بأنّ بإمكانهم البقاء على دينهم أو دفع الجزية[٤].

ثمة من يعتقد أنّ تقديم الحكومة الاسلامية الدعم الأمني والاجتماعي والاقتصادي لأهل الكتاب هو دليل على تأييد أحقية تلك الأديان[٥]. اللافت للنظر أنّ معارضي الإسلام كابن الراوندي[٦] ذهبوا إلى أنّ دفع الجزية هو دليل على كفر أهل الكتاب. فينتقدون القرآن من هذا المنظور. لكن اليوم حدث العكس وأنّ الجزية اصبحت دليل أحقية أهل الكتاب.

---

(١) مجمع البيان، ج٥، ص٨٠؛ الميزان، ج١٨، ص١٧٧.
(٢) مجمع البيان، ج٤، ص٥٠٩.
(٣) التوبة: ٢٩.
(٤) خرمشاهي، بهاء الدين: قرآن پژوهي، ص٥٤٤.
(٥) نصر، دكتر سيد حسين: كيان عدد ٤٥، ص٤٢.
(٦) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١٦، ص٣٢.



تحليل ودراسة:

إنّ الاستناد إلى هذه الآية كدليل على التعددية ناتج من عدم التامل في الآية لأنّ الآية نفسها تدل على نسخ الشرائع السابقة، نشير فيما يلي إلى عدة نقاط:

أ) إعلان الحرب على أهل الكتاب

إنّ الآية الشريفة تدعو أهل الكتاب إلى القتال في البداية. فمن الواضح لو كانت اليهودية والمسيحية في موازاة الإسلام وأنها على حق وغير منسوختين فلا داعي لقتال أتباعهما.

ب) تكذيب إيمان أهل الكتاب

إنّ الآية تصنف أهل الكتاب ضمن أولئك الذين لا يؤمنون بالله والمعاد والشريعة، كما يصرح المفسرون أنّ هذه الآية ترفض أصل وحقيقة إيمانهم بالله والمعاد[(١)]. كما يضيف مفسرون آخرون كالطباطبائي[(٢)] أنه بما أنّ أهل الكتاب لا يؤمنون بكتابهم الحقيقي الذي يبشر بالنبي الموعود، أي محمد ﷺ ففي الحقيقة يصبح إيمانهم بالله والمعاد ناقصاً ولا يُقبل عند الله.

في ظل التفسيرين السابقين فإنّ أهل الكتاب يفقدون الإيمان الكامل والمقبول عند الله. لهذا لا يمكن جعلهم بموازاة الإسلام.

ج) الخروج عن الدين الحق

تُخرج الآية أهل الكتاب من دائرة الدين الحق، وهذا السبب أي عدم

---

(١) مجمع البيان، ج٥، ص٢٣٨.
(٢) الميزان ج٩ ص٢٣٨.



إيمانهم بالدين الحق، كما يفسره جميع المفسّرين بالاسلام، هو أحد أسباب إعلان الحرب عليهم.

د) إنّ الجزية هدف لترك القتال

إنّ الآية الشريفة بعد إعلانها الحرب ووصف أهل الكتاب بالكفار تقوم برسم حدود الحرب وتحدد أهدافها، وهي أنّه لو قبل أهل الكتاب بشروط الحكومة الاسلامية لم تكن هناك ضرورة للحرب ويصبح بإمكان المسلمين ترك العداء والجهاد.

إنّ دفع أهل الكتاب الجزية لا يعني تأييد دينهم، بل الهدف منه تركهم عداء الإسلام ومنحهم الفرصة، لاعتناق الإسلام من خلال تأمّل خصائص نبي الإسلام(١).

فالتساهل والتعايش مع أهل الكتاب ودفعهم الجزية لا يعني تأييد أحقية دينهم كما يدعي دعاة التعددية، بعبارة اخرى إن الآية تتحدث عن التساهل والمداراة والتعددية الاجتماعية وليس الدينية، والدليل هو مصطلح أهل الكتاب الذي أطلق عليهم وأنهم انحرفوا ورفضوا الدين كما أنهم يشتركون مع المسلمين في بعض التعاليم كما تدعو الآية الـ ٦٤ من سورة آل عمران، أهل الكتاب إلى الأصل المشترك بين الأديان، وهو التوحيد.

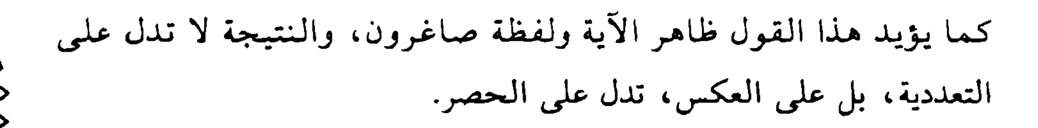
هـ) التركيز على معنى صاغرون

ذهب بعض المفسرين إلى أنّ كلمة «صاغرون» تعني خشوع أهل الكتاب تجاه الإسلام والمسلمين(٢). كما فسرها البعض بأنها التسليم والانقياد تجاه الحكومة الاسلامية وقوانينها، أمّا القاسم المشترك في النظرتين فهو النفي والرفض لوضع الإسلام في موازاة الأديان الأخرى،

---

(١) التفسير الكبير ج١٦ ص٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠؛ مجمع البيان، ج٥، ص٢٢؛ روح المعاني، ج٥، ص٢٧١.





كما يؤيد هذا القول ظاهر الآية ولفظة صاغرون، والنتيجة لا تدل على التعددية، بل على العكس، تدل على الحصر.

الدليل الثامن: حلِّيَّة أكل الطعام مع أهل الكتاب والزواج منهم

من المستندات القرآنية الأخرى للتعددية الإشارة إلى حلِّيَّة تناول الطعام مع أهل الكتاب والزواج منهم.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]

إنّ وجه الاستدلال في هذه الآية، هو حلية تناول الطعام مع أهل الكتاب والزواج منهم دون أن يؤدي هذا إلى ترك الدين، وهو دليل على تأييد دينهم، فلو كانت الحالة غير هذه لعاملهم كمعاملة المشركين فيمنع أكل الطعام معهم والزواج منهم. وهناك دليل آخر على أنّ القرآن يعترف بأهل الكتاب فهو يصرّح بمعاشرة أهل الكتاب والسماح بالزواج منهم وتناول الطعام معهم كما يجيز تناول طعامهم[2].

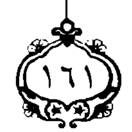
ويكتب أحدهم: يحاول البعض الإتيان بتفاسير خاصة، فحينما يقول القرآن أنّ بإمكان المسلمين أن يتزوجوا منهم بمعنى أنّ بإمكان المراة أن تبقى على دينها وتتزوج المسلم[3].

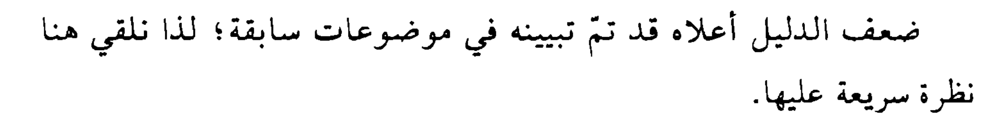
---

(١) المائدة: ٥.

(٢) خرمشاهي، بهاءالدين: قران پژوهي، ص٥٤٥.

(٣) بينا، دكتر محمود: هفت اسمان، عدد١، ص٢٥.





تحليل وتقييم

ضعف الدليل أعلاه قد تمّ تبيينه في موضوعات سابقة؛ لذا نلقي هنا نظرة سريعة عليها.

ربما يثير الدهشة أنه كيف يتجاهل أنصار التعددية الآيات الكثيرة والعديدة التي تؤيد دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومن ثم تكفيرهم ويستندون إلى آيات هي خارجة عن موضوع التعددية.

الآية أعلاه والآيات السابقة واللاحقة لها تتطرق إلى حليّة الأطعمة وحرمتها، وذلك لأن أهل الكتاب كانوا يعيشون كأقلية بين المسلمين، وبالتالي فإنهم يبنون علاقات اجتماعية واقتصادية وطيدة معهم، فلو حرمت المعاشرة وتناول الطعام معهم فسيواجهون مشاكل جمة، فالقرآن ومن منطلق اللطف والامتنان على المسلمين يجيز تناول الطعام معهم والزواج منهم بصورة مؤقتة، لكن لا يشير إلى تأييد دينهم بأيّ شكل من الأشكال[1].

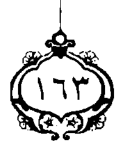
ثم إنّ العبارات التي تلي «من يكفر بالإيمان...» تحذر المسلمين من أنّ الحكم هو حكم دنيوي واجتماعي على اساس التسامح والمداراة فقط، ولو تضرر إيمان المسلم بزواجه من أهل الكتاب أو أصبحت له نزعة للإيمان بدين أهل الكتاب، ستحبط أعماله السابقة ويصبح من الخاسرين، ومن الواضح أنّ نزعة أهل الكتاب تساوي الكفر والخسران في الآخرة فيعارض

(١) الميزان ج٥ ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ وهناك تفاسير أخرى لم نتطرق إليها لأنّ الاجابة واضحة ونشير اليها هنا، أ)تقييد الطعام الحلال بالحبوبات وعدم اشتمالها على المذبوحات وهو دليل على رد التعددية (الميزان ج٥ ص٢١٢) ب) نسخ آية الزواج في الآيات الأخرى آية ٢٢١ من سورة البقرة و١٠ من سورة الممتحنة ج) السماح بالزواج المؤقت وليس الدائم؛ د)اختصاص الزواج بالرجال وانه محرم على النساء لأن زواج المراة المسلمة باليهودي سيزيد من احتمال ان يصبح ابناؤه يهوداً والإسلام لايرضى بهذا، ويقبل بزواج المسلم بنساء أهل الكتاب لأن هناك احتمال أن يصبح ابناؤه مسلمين.




هذا جوهر التعددية، بل هذه الآية دليل على انقضاء أحقية التوراة والإنجيل.





المصادر

١ ـ بازركان؛ عبدالعلي : آزادي در قرآن.

٢ ـ مطهري؛ الاستاذ الشهيد مرتضى : آشنايي با قرآن، انتشارات صدرا ، طهران.

٣ ـ مقداد؛ فاضل : إرشاد الطالبين، مكتبة آية الله نجفي ، قم.

٤ ـ مغنية، الشيخ محمد جواد: إسرائيليات القرآن، دار الجواد، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٥ ـ سميث، هوستون: اسلام از نظر گاه دانشمندان غرب، ترجمه علي اصغر حكمت.

٦ ـ حديدي، الدكتور جواد: اسلام از نظر ولتر، جامعة مشهد.

٧ ـ بواراز، مارسل: اسلام وحقوق طبيعي انسان، ترجمه محسن مويدي، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، طهران، ١٩٧٩.

٨ ـ مطهري، الأستاذ الشهيد مرتضى: اسلام ومقتضيات زمان، انتشارات صدرا ، طهران.

٩ ـ الكليني، يعقوب، أصول الكافي، دفتر نشر فرهنگ أهل البيت، ترجمة وشرح السيد هاشم رسولي محلاتي، طهران، بدون تاريخ.

١٠ ـ الهندي، رحمة الله: إظهار الحق، المطبعة العلمية ١٣٥٠هـ.



١١ ـ البحراني، الشيخ يوسف: الحدائق الناصرة، دار الأضواء، بيروت.

١٢ ـ الملا صدرا: الحكمة المتعالية، مكتبة مصطفوي، قم.

١٣ ـ الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٤ ـ الشيخ الصدوق: الاعتقادات، أوائل المقالات للشيخ مفيد.

١٥ ـ ابن كثير: السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ.

١٦ ـ ابن عربي، مُحيي الدين: الفتوحات المكية، ٤ أجزاء، دارصادر، بيروت.

١٧ ـ الشيخ الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، دار الأضواء، بيروت.

١٨ ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ.

١٩ ـ مقداد، فاضل: اللوامع الإلهية، نشر شفق، تبريز، ١٣٩٦.هـ.

٢٠ ـ ابن حزم: الفصل بين الأهواء والنحل والملل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٠هـ.

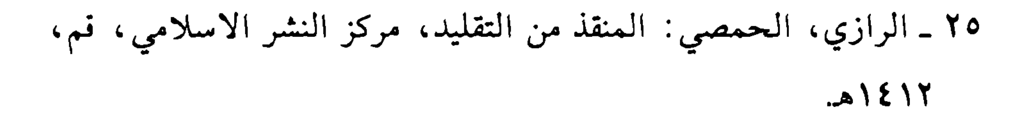
٢١ ـ العاملي، الشيخ الحر: الفصول المهمة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٨هـ.

٢٢ ـ الشيخ المفيد: الارشاد، ترجمه وشرح، السيد هاشم رسول محلاتي، انتشارات علمية اسلامية، شيراز.

٢٣ ـ الغزالي، محمد: المستعفي من الأصول، دار صادر، بيروت.

٢٤ ـ الأصفهاني، راغب: المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر كتاب، ١٤٠٤هـ.





٢٥ ـ الرازي، الحمصي: المنقذ من التقليد، مركز النشر الاسلامي، قم، ١٤١٢هـ.

٢٦ ـ فخر الإسلام، محمد صادق: أنيس الاعلام، مكتبة مرتضوي، طهران، ١٩٧٢.

٢٧ ـ البلاغي، الشيخ محمد جواد: الهدى إلى دين المصطفى، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٥٨هـ.

٢٨ ـ ابن نوبخت: الياقوت في علم الكلام، با تحقيق علي اكبر ضيائي، مكتبة آية الله مرعشي، قم، ١٤١٣هـ.

٢٩ ـ سبحاني، جعفر: الإيمان والكفر في الكتاب والسنة، جعفر سبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم ١٤١٦هـ.

٣٠ ـ المجلسي، محمد تقي: بحارالأنوار، مؤسسة الوفاء، ١١٠ أجزاء، بيروت، ١٤٠٩هـ.

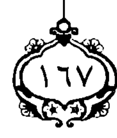
٣١ ـ صادقي، محمد: بشارت عهدين، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٩٨٣.

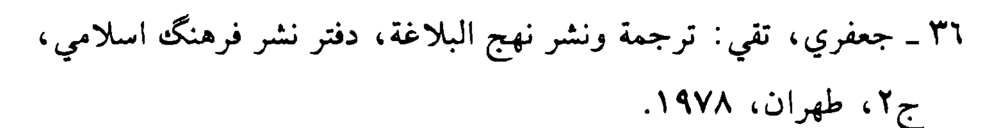
٣٢ ـ بينات، مجله، العدد ١٦ ـ ١٧.

٣٣ ـ الطبري، أبوجعفر: تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

٣٤ ـ الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٥ ـ ديورانت، ويل: تاريخ تمدن، ترجمه نخبة من المؤلفين، انتشارات شركت سهامي، ط. الثانية، ج٤، طهران ١٩٨٩.





٣٦ ـ جعفري، تقي: ترجمة ونشر نهج البلاغة، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ج٢، طهران، ١٩٧٨.

٣٧ ـ طهراني، السيد هاشم حسيني: تعليقة على تجريد الاعتقاد، طبعة تبريز.

٣٨ ـ الحكيم هيدجي: تعليقة على شرح المنظومة، انتشارات علمي، طهران، ١٩٨٤.

٣٩ ـ البيضاوي، أبوسعيد عبدالله: تفسيرالبيضاوي، دارالمكتبةالعلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٤٠ ـ الشيخ الطوسي: تفسير التبيان، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

٤١ ـ الطالقاني، السيد محمود: تفسير پرتوي از قرآن، شركت سهامي انتشار، ج١، ط. الثالثة، طهران.

٤٢ ـ فيض الإسلام، ملامحسن: تفسير الصافي، دو جلدي، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٩٣هـ.

٤٣ ـ القاسمي، جلال الدين: تفسير القاسمي، ج٤، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧٦هـ.

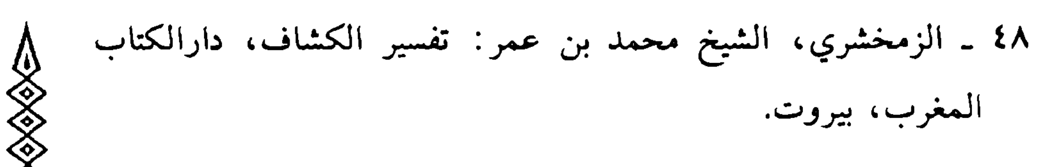
٤٤ ـ صدرالمتألهين: تفسير القرآن الكريم، با تصحيح محمد خواجوي، انتشارات بيدار، قم.

٤٥ ـ ابن عربي، مُحيي الدين: تفسير القرآن الكريم، انتشارات بيدار، قم.

٤٦ ـ مغنية، الشيخ محمد جواد: تفسير الكاشف، دار العلم، بيروت، ١٩٧٦.

٤٧ ـ الرازي، امام فخرالدين: التفسير الكبير، دارالكتب العلمية، طهران.





٤٨ ـ الزمخشري، الشيخ محمد بن عمر: تفسير الكشاف، دارالكتاب المغرب، بيروت.

٤٩ ـ المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، شركة مصطفى البابي والمجلسي، مصر، ١٣٧٣هـ.

٥٠ ـ الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين: تفسير الميزان، انتشارات اسلامي، قم.

٥١ ـ رشيد رضا، محمد: تفسيرالمنار، دارالمعرفة، بيروت.

٥٢ ـ الشيخ الطبرسي: تفسير جوامع الجامع، مقدمة وتصحيح الدكتور گرجي، مركز مديريت حوزه علميه قم.

٥٣ ـ الآلوسي، محمود: تفسير روح المعاني، داراحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٤ ـ الشوكاني، الإمام: تفسير فتح القدير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر، ١٣٤٩هـ.

٥٥ ـ سيد قطب: تفسير في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٣١٩هـ.

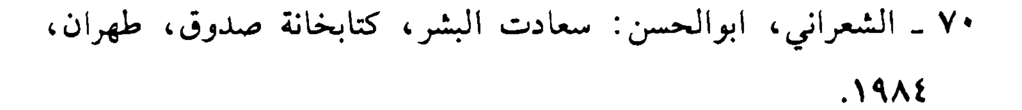
٥٦ ـ الشيخ الطبرسي: تفسير مجمع البيان، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران.

٥٧ ـ مكارم الشيرازي، ناصر: تفسير نمونه، دار الكتب العلمية، طهران.

٥٨ ـ العروسي الحويزي، ابن جمعه: تفسير نورالثقلين، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، ٥ أجزاء، قم.



٥٩ ـ لوبون، گوستاف: تمدن اسلام وعرب، ترجمة السيد هاشم حسيني، المكتبة الإسلامية، طهران.
٦٠ ـ معرفة، محمد هادي: جامعه مدني، مؤسسة فرهنگي انتشاراتي التمهيد، قم، ٢٠٠٨.
٦١ ـ قدردان قراملكي، محمد حسن: جهنم گرا؟، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم.
٦٢ ـ الصفار، حسن: چند گونگي وآزادي در اسلام، ترجمة حميد رضا آژير، نشر بقيع.
٦٣ ـ الشهيد الثاني: حقايق الإيمان، قم ١٤٠٩،هـ.
٦٤ ـ دين پژوهي، ويراسته ميرچاه الياذه، ترجمه بهاء الدين خرمشاهي، پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي، طهران، ١٩٩٦.
٦٥ ـ بازرگان، المهندس مهدي: دين وتمدن، انتشارات بعثت، طهران، ١٩٧١.
٦٦ ـ بازرگان، المهندس مهدي: دين ودولت، انتشارات بعثت، طهران، ١٩٧١.
٦٧ ـ دين وچشم اندازهاي نو، نخبة من المؤلفين، ترجمه غلام حسين توكلي، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم.
٦٨ ـ مصباح يزدي، محمد تقي: راهنما شناسي، مركز مديريت حوزة علمية قم.
٦٩ ـ اللاهيجي، عبدالرزاق: سرمايه ايمان.



٧٠ ـ الشعراني، ابوالحسن: سعادت البشر، كتابخانة صدوق، طهران، ١٩٨٤.

٧١ ـ ابن داوود: سه ارجوزة، سازمان چاپ وانتشارات وزارت ارشاد، طهران.

٧٢ ـ المحقق الطوسي: شرح الاشارات، مكتبة آية اللة نجفي مرعشي، قم، ١٤٠٣هـ.

٧٣ ـ السبزواري، الحاج الملا هادي: شرح المنظومة، طبع قديم، مكتبة مصطفوي، قم.

٧٤ ـ التفتازاني، سعدالدين: شرح المقاصد، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٩٩٢.

٧٥ ـ الشريف المرتضى: شرح جمل العلم والعمل.

٧٦ ـ اذري قمي، احمد: شرحي بر وصيت نامه امام خميني.

٧٧ ـ جوادي آملي، عبدالله: شريعت در آينه معرفت، مركز نشر فرهنگي رجاء.

٧٨ ـ سروش، الدكتور عبدالكريم: صراطهاي مستقيم، مؤسسة فرهنگي صراط، طهران، ١٩٩٨.

٧٩ ـ الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسن: ظهور شيعة، نشر شريعت، طهران.

٨٠ ـ مطهري، الاستاذ الشهيد مرتضى: العدل الإلهي، المنشورات الاسلامية، قم.



٨١ ـ سروش، الدكتور عبدالكريم: فربه تر از ايدئولوژي، مؤسسة فرهنگي صراط، چاپ سوم، طهران، ١٩٩٦.

٨٢ ـ هيك، جان: فلسفة دين، ترجمه بهرام راد، انتشارات بين المللي الهدى، طهران، ١٩٩٣.

٨٣ ـ الغزالي، محمد بن محمد: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تصحيح النعساني، مصر، ١٣٢٥هـ.

٨٤ ـ القريشي، علي اكبر: قاموس قرآن، دار الكتب العلمية، طهران.

٨٥ ـ خرمشاهي، بهاءالدين: قرآن پژوهي، مرك. نشر فرهنگي مشرق، طهران، ١٩٩٣.

٨٦ ـ بازرگان، المهندس مهدي: قرآن ومسيحيان، شركت سهام انتشار، طهران، ١٩٩٣.

٨٧ ـ البحراني، ابن ميثم: قواعد المرام، مكتبة آية الله النجفي المرعشي، قم.

٨٨ ـ فيض كاشاني، ملا محسن: كتاب الوافي في شرح أصول الكافي، مكتبة أميرالمؤمنين، اصفهان.

٨٩ ـ سبحاني، جعفر: كتاب الإيمان والكفر، مؤسسة الامام الصادق، قم، ١٤١٦هـ.

٩٠ ـ مطهري، الأستاذ الشهيد مطهري: كتاب جهاد، انتشارات اسلامي، قم، ١٣٦١.

٩١ ـ كتاب نقد، (فصلنامه)، العدد ٤.





٩٢ ـ قدردان ملكي، محمد حسن: كند وكاوي در سويه هاي بلوراليزم، دفتر انديشه جوان، طهران.

٩٣ ـ مجلة كيان، العدد ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٣٧.

٩٤ ـ ابن منظور: لسان العرب، نشر أدب الحوزه، قم ١٤٠٥هـ.

٩٥ ـ سبحاني جعفر: مباني حكومت اسلامي، انتشارات توحيد، قم.

٩٦ ـ جلال الدين البلخي الرومي (مولوي): مثنوي ومعنوي.

٩٧ ـ مطهري، الأستاذ الشهيد مطهري: مجموعة آثار، انتشارات صدرا، طهران.

٩٨ ـ المجلسي، محمد تقي: مرآة العقول، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٩٩١.

٩٩ ـ معرفة، محمد هادي: مصونيت قرآن از تحريف.

١٠٠ ـ سبحاني، جعفر: معاني النبوة في النبوة في القرآن الكريم.

١٠١ ـ معرفت (مجله)، العدد ٢٢، محمد لگنهاوزن، پلوراليسم.

١٠٢ ـ احمدي ميانجي، احمدي: مكاتيب الرسول.

١٠٣ ـ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

١٠٤ ـ محمدي ري شهري، محمد: ميزان الحكمة، مكتب الاعلم الاسلامي، قم ١٤٠٤،هـ.

١٠٥ ـ نامه فرهنگ، العدد ٢٤، ١٩٩٦.

١٠٦ ـ المحقق الطوسي: نقد المحصل، جامعة طهران.

١٠٧ ـ نقد ونظر، (مجله).



١٠٨ ـ العاملي، الشيخ الحر: وسائل الشيعة، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١، هـ.

١٠٩ ـ بينا، محمد تقي: همشهري (روزنامه)، گفتمان پلوراليزم ديني، العدد ٢١١٤، ٢١/٢/٧٩.



يبرز أمامنا نموذج فكري هو المشروع الحداثي الديني، إذ إنّه في الوقت الذي يبادل الأصالة بالسنّة، إلاّ أنّه يسعى من خلال السماح لمفاهيم الحداثة بالعبور عبر ممرّ السنّة، الى تعديل وتطوير تلك المفاهيم، فيقوم بتحويل مصطلحات من قبيل الحريّة، والديمقراطيّة، والعدالة الاجتماعيّة، الى التحرّر، والمساواة، والحاكميّة الدينيّة.

لقد اختار دار الولاء و المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي النموذج الفكري التجديدي العقل والرؤية الكونية للإسلام، كمنظار ينظر من خلاله الى مفاهيم الواقعية، وبلوغ حقيقة، وتفسير القيم المعنوية، (المشروع واللامشروع)، ومن هذه الزاوية فهما ينطلقان باتجاه التنظير والإنتاج الفكري في مجالات الأحكام والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الروي
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 7/25
w.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com - daralwalaa@yahoo.com